

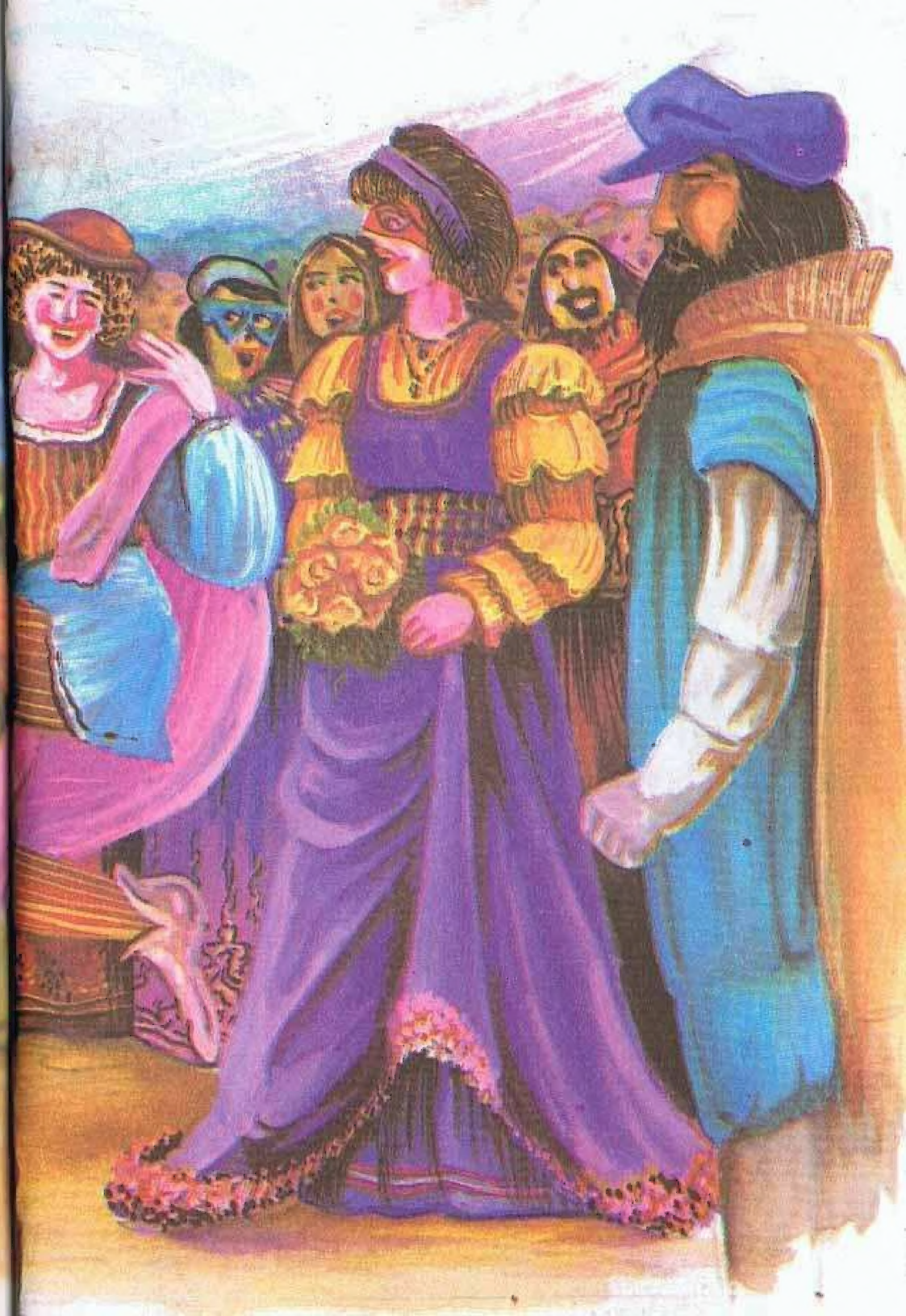
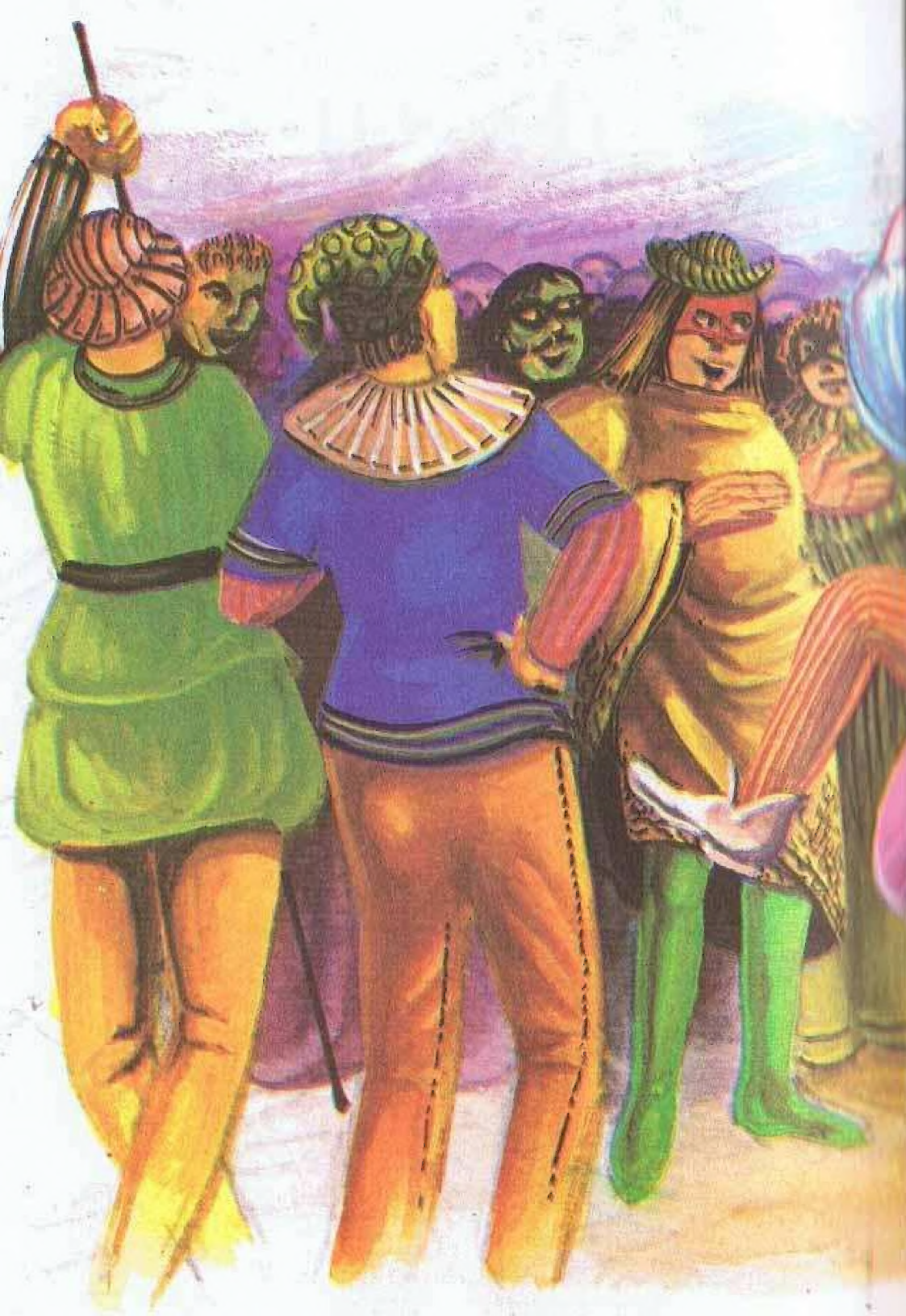
الحشرة الذهبية

قصص أخرى



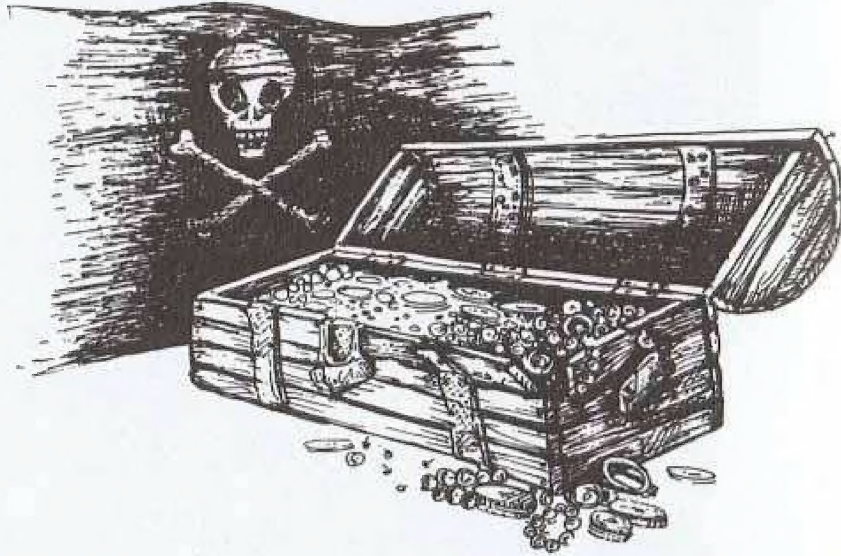
المغامرات المثيرة





الحِزَّةُ الذَّهَبِيَّةُ

وَقَصَصٌ أُخْرَى



تأليف: إدغار آلان پُو
إعداد: اسماعيل أبو العزائم
رسوم: حسن عبد الستار

مَكْتَبَةُ لِبْنَان
بِئروت

© الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان

١٠ أ شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي - الجيزة
جميع الحقوق محفوظة : لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب ، أو تخزينه
أو تسجيله بأية وسيلة ، أو تصويره دون موافقة خطية من الناشر .

الطبعة الثانية

رقم الإيداع : ٢٢٩٦ / ٨٨

الترقيم الدولي : ٩٧٧-١٤٤٥-٥٤-٥ ISBN

طبع بمطابع دار المعارف - القاهرة

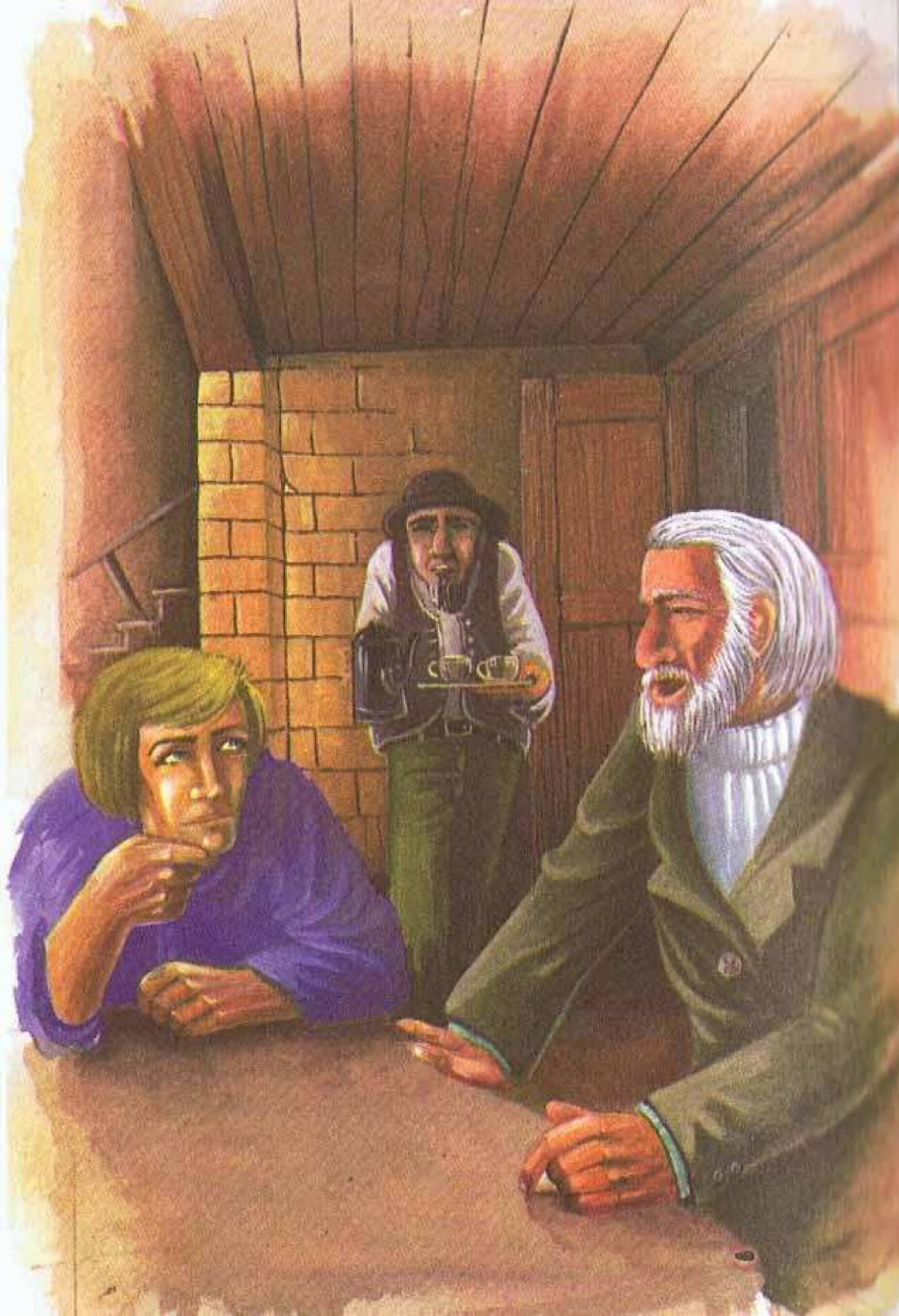
الحشرة الذهبية

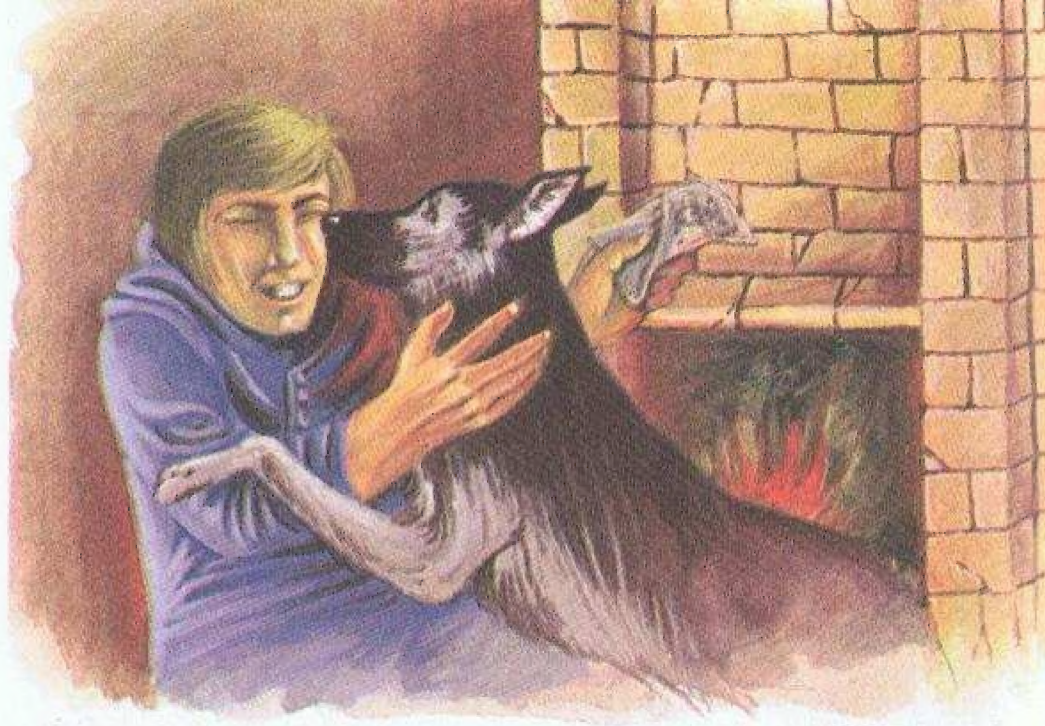
بَدَأْتُ صِدَاقَتِي مَعَ السَّيِّدِ وَلِيمِ لُوْغْرَانِ مُنْذُ عِدَّةِ سَنَوَاتٍ . كَانَ يَنْعَمُ
بِالْثَّرَاءِ ، وَلَكِنَّهُ أَفْتَقَرَ بِسَبَبِ عَدَدٍ مِنَ النِّكَبَاتِ الَّتِي أَلْمَتْ بِهِ . وَلَكِنِّي يَتَجَنَّبُ
مَا قَدْ تُسَبِّهُ أَلْفَاقُهُ مِنْ إِحْرَاجٍ ، ذَهَبَ لِيَعِيشَ فِي جَزِيرَةِ سَالِيْقَانِ بِجَوَارِ
تَشَارَلِسْتُونِ فِي وَلايَةِ كَارُولِينَا الْجَنُوبِيَّةِ بِالْوِلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ .

عِنْدَمَا قَابَلْتُهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ كَانَ يَعْيشُ هُنَاكَ فِي كُوْخٍ صَغِيرٍ ، وَمَعَهُ خَادِمٌ عَجُوزٌ
يُدْعَى جُوبِيَّتِر . لَقَدْ كَانَ لُوْغْرَانُ شَخْصًا مُتَّقَفًا يَتَمَتَّعُ بِقُدْرَاتٍ ذَهْنِيَّةٍ غَيْرِ
عَادِيَّةٍ مِمَّا أَثَارَ أَهْتِمَامِي بِهِ بِدَرَجَةٍ كَبِيرَةٍ . وَقَدْ كَانَ يَهْوِي الْقَنْصَ وَصَيْدَ
السَّمَكِ بِصُورَةٍ خَاصَّةٍ ، كَمَا كَانَ مُعْرَمًا بِجَمْعِ الْأَصْدَافِ وَالْحَشَرَاتِ .

ذَهَبْتُ إِلَى الْجَزِيرَةِ لِأُرَوِّرَ صَدِيقِي بَعْدَ ظَهْرِ يَوْمٍ بَارِدٍ مِنْ أَيَّامِ شَهْرِ أُكْتُوبَرِ
سَنَةِ ١٨ - . وَعِنْدَمَا وَصَلْتُ إِلَى الْكُوْخِ طَرَقْتُ الْبَابَ كَعَادَتِي ، وَلَكِنْ لَمْ
يَفْتَحْ لِي الْبَابَ أَحَدٌ ، فَبَحَثْتُ عَنْ مِفْتَاحِهِ فِي الْمَكَانِ الَّذِي أَعْتَادَ صَدِيقِي أَنْ
يُخَبِّئَهُ فِيهِ . ثُمَّ فَتَحْتُ وَدَخَلْتُ ، وَقَدْ سَرَّنِي أَنْ وَجَدْتُ الْمِدْفَأَةَ مُشْتَغِلَةً ،
فَنَزَعْتُ مِعْطَفِي وَجَلَسْتُ بِجَوَارِ النَّارِ فِي أَنْتِظَارِ مُضِيْفِي .

وَصَلَ لُوْغْرَانُ وَخَادِمُهُ عِنْدَ حُلُولِ اللَّيْلِ وَرَحَّبَا بِي بِحَرَارَةٍ : أَسْرَعَ جُوبِيَّتِرُ
لِيُعِدَّ بَطَّةً لِلْعِشَاءِ ، بَيْنَمَا بَدَأَ لُوْغْرَانُ يَصِفُ لِي شَكْلَ حَشْرَةٍ غَرِيبَةٍ كَانَ قَدْ
وَجَدَهَا بَعْدَ ظَهْرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَيَعْتَقِدُ أَنَّهَا تَنْتَمِي إِلَى فَصِيلَةٍ جَدِيدَةٍ غَيْرِ
مَعْرُوفَةٍ .





قال لُوغران : « لَوْ كُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّكَ هُنَا لَأَحْتَفَظْتُ بِهَا لِأُرِيكَ إِيَّاهَا . وَلَكِنِّي قَابَلْتُ صَدِيقِي ج .. وَأَنَا فِي طَرِيقِي إِلَى هُنَا وَأَعَرَّتُهُ الْحَشْرَةُ لِيَفْحَصَهَا . إِنَّهَا ذَاتُ لَوْنٍ ذَهَبِيٍّ لَامِعٍ ، وَهِيَ فِي حَجْمِ الْبُنْدُقَةِ الْكَبِيرَةِ ، وَلَهَا نَقْطَتَانِ سَوْدَاوَانِ قُرْبَ نِهَايَةِ الظَّهْرِ ، وَنُقْطَةٌ أُخْرَى أُطْوَلُ فِي الطَّرْفِ الْآخِرِ . وَيَعْتَقِدُ جُوبَيْتَرُ أَنَّ الْحَشْرَةَ مَصْنُوعَةٌ مِنَ الذَّهَبِ الْخَالِصِ ، أَمَّا أَنَا فَلَسْتُ وَاثِقًا مِنْ أَنَّهُ مُخْطِئٌ فِي ظَنِّهِ هَذَا . »

وَهُنَا تَدْخُلُ جُوبَيْتَرُ قَائِلًا : « أَنَا مُتَأَكِّدٌ مِنْ صِحَّةِ مَا أَقُولُ ، فَلَمْ يَحْدُثْ مِنْ قَبْلِ طَوَالِ حَيَاتِي أَنْ وَجَدْتُ حَشْرَةً ثَقِيلَةً بِهَذِهِ الدَّرَجَةِ . »

قال لُوغران : « الْحَقِيقَةُ أَنِّي لَمْ أَرِ قَطُّ مِنَ الذَّهَبِ مَا يَلْمَعُ لَمَعَانَ تِلْكَ الْحَشْرَةِ . وَلَكِنْ دَعْنِي أُعْطِكَ فِكْرَةً عَنْ شَكْلِهَا . » ثُمَّ جَلَسَ أَمَامَ مِنْضَدَةٍ ، عَلَيْهَا دَوَاةٌ وَقَلَمٌ ، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا وَرَقٌ . فَبَحَثَ عَنِ الْوَرَقِ فِي الدَّرَجِ فَلَمْ يَجِدْ مِنْهُ شَيْئًا .

قال : « لَا بَأْسَ بِهَذِهِ . » وَأَخْرَجَ مِنْ جَبِيهِ مَا كَانَ يَبْدُو وَكَأَنَّهُ وَرَقَةٌ مُتَسَخَّخَةٌ مِنْ أَوْرَاقِ الْمَذْكُورَاتِ ، وَبَدَأَ يَرَسُمُ عَلَيْهَا صُورَةَ الْحَشْرَةِ بِقَلَمِهِ . وَعِنْدَمَا أَنْتَهَى أَخْضَرَ الْوَرَقَ إِلَى حَيْثُ كُنْتُ جَالِسًا بِجِوَارِ الْمِدْفَأَةِ وَأَعْطَانِيهَا . وَعِنْدَمَا بَدَأْتُ أَدْرُسُ الرَّسْمَ دَخَلَ كَلْبُ لُوغران وَقَفَزَ عَلَى كَتِفِي وَأَخَذَ يُقْبِلُنِي ، لِأَنِّي كُنْتُ أَحَدَ الْمُحِبِّينَ إِلَيْهِ . وَعِنْدَمَا نَظَرْتُ إِلَى الْوَرَقَةِ بَعْدَ ذَلِكَ بِقَلِيلٍ حَيَّرَنِي مَا رَسَمَهُ صَدِيقِي .

قُلْتُ لَهُ : « هَذِهِ حَشْرَةٌ غَرِيبَةٌ ، إِنَّهَا تَبْدُو كَمَا لَوْ كَانَتْ جُمُجُمَةً . »

قال لُوغران : « جُمُجُمَةٌ ؟ آو ! نَعَمْ ! رُبَّمَا تَبْدُو كَذَلِكَ عَلَى الْوَرَقِ . إِذْ قَدْ تَبْدُو النَّقْطَتَانِ السَّوْدَاوَانِ كَمَا لَوْ كَانَتَا عَيْنَيْنِ ، وَالنُّقْطَةُ الطَّوِيلَةُ السُّفْلِيَّةُ كَمَا لَوْ كَانَتْ فَمًا . »

قُلْتُ : « رُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ ، وَلَكِنَّكَ رَسَّامٌ غَيْرُ مَاهِرٍ يَا لُوغران ! » قال مُتَضَافًا بَعْضَ الشَّيْءِ : « لَا ، أَوْ عَلَى الْأَقْلَ لَقَدْ كَانَ مُدْرَسُو الرَّسْمِ لَا يَعْتَبِرُونَنِي كَذَلِكَ . »

قُلْتُ : « حَسَنًا يَا صَدِيقِي ، لَا بُدَّ أَنَّكَ كُنْتَ تَمَزُحُ . إِنَّ هَذَا الرَّسْمَ صُورَةٌ رَائِعَةٌ لِجُمُجُمَةٍ ، وَلَكِنَّهُ صُورَةٌ سَيِّئَةٌ لِحَشْرَةٍ . »

لَا حَظَّ أَنْ لُوغران بَدَأَ عَلَيْهِ الْعُضْبُ ، فَأَعْطَيْتُهُ الْوَرَقَةَ مِنْ دُونِ أَنْ أُبْدِيَ

أَيَّةُ مُلَاحَظَةٍ أُخْرَى . إِنَّ غَضَبَهُ أَذْهَشَنِي ، أَمَّا بِالنَّسْبَةِ لِلرَّسْمِ فَقَدْ كَانَ يُشْبِهُ
الْجُمُجْمَةَ تَمَامًا .

أَخَذَ الْوَرَقَةَ مِنِّي بِشَيْءٍ مِنَ الضَّيِّقِ ، وَكَادَ أَنْ يُلْقِيَ بِهَا فِي النَّارِ عِنْدَمَا جَذَبَ
أَنْتِبَاهَهُ شَيْءٌ مَا مُتَعَلِّقٌ بِالرَّسْمِ . وَسَرَّعَانَ مَا أَحْمَرَ وَجْهَهُ ، ثُمَّ مَا لَيْثَ بَعْدَ
لَحْظَةٍ إِنْ أَصْفَرَ صُفْرَةَ الْمَوْتِ . وَاصِلَ لُوْغْرَانَ فَحَصَّهُ لِلْوَرَقَةِ عِدَّةَ دَقَائِقَ ،
وَأَخَذَ يُقْلِبُهَا مِنْ وَجْهِ لِآخِرِ دُونَ أَنْ يَقُولَ شَيْئًا . وَأَخِيرًا أَخْرَجَ ظَرْفًا مِنْ
جَيْبِ سُرْتَرِهِ وَوَضَعَ الْوَرَقَةَ فِيهِ بِعَنَاقِيَةٍ ، ثُمَّ وَضَعَ الظَّرْفَ فِي ذَرْجِ مَكْتَبِهِ
وَأَغْلَقَهُ .

دَهَشْتُ لِتَصَرُّفِهِ الْغَرِيبِ هَذَا ، وَخَابَ أَمَلِي فِي قَضَاءِ سَهْرَةٍ مُمْتَعَةٍ عِنْدَمَا
لَاخِظْتُ اسْتِعْرَاقَهُ فِي التَّفَكِيرِ فِتْرَةً طَوِيلَةً . وَعِنْدَمَا قُمْتُ أَسْتَأْذِنُ فِي الدَّهَابِ
لَمْ يَدْعُنِي لِلْمَيْبِتِ عِنْدَهُ كَمَا أَعْتَادَ ذَلِكَ ، بَلْ صَافَحَنِي بِفُتُورٍ .

مَضَى مَا يَقْرُبُ مِنَ الشَّهْرِ مِنْ دُونَ أَنْ أَرَى لُوْغْرَانَ ، ثُمَّ جَاءَ جُوبَيْتَرُ
لِرِيارَتِي فِي تَشَارُلِسْتُونِ . وَكَانَتْ الْأَخْبَارُ الَّتِي حَمَلَهَا غَيْرَ سَارَةٍ فَقَدْ أَخْبَرَنِي أَنَّ
سَيِّدَهُ مَرِيضٌ وَفِي حَاجَةٍ إِلَى الْمُسَاعَدَةِ . وَكَانَ جُوبَيْتَرُ يَعْتَقِدُ أَنَّ سَبَبَ
مَرَضِ سَيِّدِهِ لَسَعَةٌ مِنَ الْحَشْرَةِ الذَّهَبِيَّةِ أَصَابَتْهُ يَوْمَ أَنْ أُمْسَكَ بِهَا . وَقَالَ
جُوبَيْتَرُ إِنَّهُ نَجَا مِنْ نَفْسِ الْمَصِيرِ لِأَنَّهُ أُمْسَكَ الْحَشْرَةَ بِوَرَقَةٍ لِذَلِكَ لَمْ تَلْسَعَهُ .
ثُمَّ أَعْطَانِي جُوبَيْتَرُ رِسَالَةً بَعَثَ بِهَا إِلَيَّ سَيِّدُهُ لُوْغْرَانَ ، وَأَخَذْتُ أَقْرَأُهَا وَقَدْ
اعْتَرَانِي شَيْءٌ مِنَ الْخَوْفِ .

جَاءَ فِي الرِّسَالَةِ :

« عَزِيزِي ... لِمَاذَا لَمْ أَرَكَ مُنْذُ فِتْرَةٍ طَوِيلَةٍ ؟ لَدَيَّ بَعْضُ الْأَنْبَاءِ الَّتِي أُرِيدُ
أَنْ أَخْبِرَكَ بِهَا ، وَلَكِنِّي لَا أَعْرِفُ مَا أَقُولُهُ لَكَ ، أَمْ مِنْ أَلَوَاجِبِ أَنْ أَقْضِيَ بِهَا
عَلَى الْإِطْلَاقِ ؟ »

« إِنَّنِي أَشْعُرُ بِوَعَكَةٍ مُنْذُ عِدَّةِ أَيَّامٍ وَأَجِدُ صُعُوبَةً كَبِيرَةً فِي التَّخَلُّصِ مِنْ
جُوبَيْتَرِ كَنِّي أَقَوْمَ بَعْضِ الرِّحَالِ الْضَّرُورِيَّةِ وَسَطِ الثَّلَالِ السَّاحِلِيَّةِ . »

« أَرْجُو أَنْ تَأْتِيَ إِلَيَّ مَعَ جُوبَيْتَرِ ، إِذَا كَانَ ذَلِكَ مُمَكِّنًا . أَرْجُوكَ أَنْ
تَأْتِيَ ، فَإِنَّا أُرِيدُ أَنْ أَرَكَ الْبَلِيلَةَ لِأَمْرِ هَامٍ . بَلْ فِي غَايَةِ الْأَهْمِيَّةِ .
الْمُخْلِصُ ، »

وَلَيْمَ لُوْغْرَانَ

شَعَرْتُ بِقَلْقٍ شَدِيدٍ بَعْدَ قِرَاءَتِي الرِّسَالَةِ وَأَخَذْتُ أَسْأَلُ نَفْسِي : « بِأَيِّ شَيْءٍ
يَحْتَلُمُ صَدِيقِي ؟ مَا هِيَ تِلْكَ الْمَسْأَلَةُ الَّتِي فِي غَايَةِ الْأَهْمِيَّةِ ؟ أَمْ مِنَ الْمُحْتَمَلِ أَنْ
تَكُونَ ... ؟ وَخَشِيتُ أَنْ تَكُونَ وَطْأَةً الْكَتَابَاتِ الْمُسْتَمِرَّةِ قَدْ دَفَعَتْهُ إِلَى حَدِّ
الْجُنُونِ . وَهَكَذَا وَجَدْتُ نَفْسِي أَسْتَعِدُّ لِلدَّهَابِ مَعَ جُوبَيْتَرِ مِنْ دُونَ أَدْنَى
لَرْدٍ . »

لَاخِظْتُ أَنَّ جُوبَيْتَرُ كَانَ يَحْمِلُ مَعَهُ ثَلَاثَ مَجَارِفَ قَالَ إِنَّ لُوْغْرَانَ قَدْ
طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَشْتَرِيَهَا مِنْ تَشَارُلِسْتُونِ ، وَلَمْ يَعْرِفْ جُوبَيْتَرُ الْعَجُوزَ لِمَاذَا
طَلَبَ مِنْهُ لُوْغْرَانَ شِرَاءَهَا . قَالَ لِي : « إِنَّهَا الْحَشْرَةُ يَاسِيدِي ، وَكُلُّ هَذَا
الْهَرَاءِ سَبَبُهُ الْحَشْرَةُ . »

وَصَلْنَا إِلَى الْكُوْخِ السَّاعَةِ الثَّلَاثَةِ بَعْدَ الظُّهْرِ ، وَكَانَ وَجْهُ لُوْغْرَانَ شَاجِبًا

بِدَرَجَةٍ كَبِيرَةٍ ، وَيَبْدُو عَلَيْهِ الْإِرْهَاقُ الشَّدِيدُ . وَكَانَتْ عَيْنَاهُ السَّمَرَاوَانِ
تَلْمَعَانِ لَمَعَانًا غَرِيبًا غَيْرَ طَبِيعِيٍّ . وَعِنْدَمَا سَمِعَتْ كَلِمَاتِهِ الْأُولَى دَقَّ قَلْبِي دَقًّا
عَنِيفًا .

قَالَ فِي نُبْرَةٍ جَادَّةٍ : « مَا قَالَهُ جُوبِيْتَرُ عَنِ الْحَشْرَةِ صَحِيحٌ . إِنَّهَا مِنْ
الذَّهَبِ الْخَالِصِ ، وَسَوْفَ تَكُونُ السَّبَبُ فِي حُصُولِي عَلَى ثَرَوَةٍ طَائِلَةٍ . »
سَأَلْتُهُ فِي حُزْنٍ : « كَيْفَ سَيَكُونُ ذَلِكَ ؟ »

لَمْ يُجِبْنِي ، بَلْ ذَهَبَ إِلَى صُنْدُوقِ زُجَاجِيٍّ بِجَوَارِ الْخَائِطِ ثُمَّ جَاءَ بِالْحَشْرَةِ
إِلَيَّ . لَقَدْ كَانَتْ فِي غَايَةِ الْجَمَالِ ، وَلَمْ تَكُنْ مَعْرُوفَةً لِلْعُلَمَاءِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ .
كَمَا كَانَتْ ثَقِيلَةً وَبَدَتْ - مِنْ دُونِ شَكٍّ - كَمَا لَوْ كَانَتْ مَصْنُوعَةً مِنْ
الذَّهَبِ مِمَّا جَعَلَ رَأْيِي جُوبِيْتَرُ مَعْقُولًا . وَلَكِنْ لَمْ أَفْهَمْ سَبَبَ مُوَافَقَةِ لُوغِرَانَ
عَلَى رَأْيِ الْخَادِمِ .

قُلْتُ لَهُ : « يَا صَدِيقِي الْعَزِيزُ ، إِنَّ صِحَّتَكَ لَيْسَتْ عَلَى مَا يُرَامُ وَ ... »
قَاطَعَنِي قَائِلًا : « أَنْتَ مُخْطِئٌ فِي هَذَا ؛ أَنَا فِي أَثَمِّ صِحَّةٍ ، إِذَا وَضَعْنَا فِي
الْإِعْتِبَارِ مَا أَغَانِيهِ مِنْ تَوَثُّرٍ وَانْفِعَالٍ . إِذَا كُنْتَ تُرِيدُ حَقِيقَةً أَنْ أُسْتَعِيدَ كَامِلٌ
صِحَّتِي فَعَلَيْكَ أَنْ تُخَفِّفَ عَنِّي مَا أَغَانِيهِ مِنْ تَوَثُّرٍ . »

« كَيْفَ يُمَكِّنُنِي أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ ؟ »

« بِمُنْتَهَى السُّهُولَةِ ، سَوْفَ نَذْهَبُ - أَنَا وَجُوبِيْتَرُ - فِي رِحْلَةٍ إِلَى
الْأَثَلَالِ ، وَسَوْفَ نَحْتَاجُ إِلَى مُسَاعَدَةِ شَخْصٍ نَثِقُ فِيهِ . وَسَوَاءٌ أُنَجِّحْنَا أَمْ

فَلْنُفَلِسْنَا فِي تَحْقِيقِ هَدَفِنَا ، فَسَوْفَ أَنْخَلُصُ عَلَى الْأَقْلَ مِنْ هَذَا التَّوَثُّرِ الَّذِي أَغَانِي
مِنْهُ . »

أُجِبَّتُهُ : « كَمْ أَوْدُ أَنْ أَقْدَمَ لَكَ آيَةً مُسَاعَدَةٍ تَطْلُبُهَا ، وَلَكِنِّي أَعْتَقِدُ أَنَّكَ
مُخْطِئٌ فِيمَا قُلْتَهُ عَنِ الْحَشْرَةِ ، وَأُرِيدُ أَنْ تَعِدَنِي بِشَرْفِكَ أَنْ تَعُودَ مَعِي إِلَى
الْكُوخِ بَعْدَ انْتِهَاءِ هَذِهِ الرِّحْلَةِ ، وَتُنْفِذَ مَا أَقْدَمُهُ لَكَ مِنْ نُصْحٍ كَمَا لَوْ كُنْتُ
طَبِيبُكَ . »

قَالَ لُوغِرَانُ : « نَعَمْ ، أَعِدْكَ . وَآلَانَ فَلْنَذْهَبْ ، فَلَيْسَ عِنْدَنَا وَقْتُ
لِصَبِيحَةٍ . »

سِرْتُ مَعَ صَدِيقِي حَزِينَ الْقَلْبِ ، وَبَدَأْنَا رِحْلَتَنَا السَّاعَةَ الرَّابِعَةَ وَكُنَّا أَرْبَعَةً
أَنَا وَلُوغِرَانُ وَجُوبِيْتَرُ وَالْكَلْبُ . وَكَانَ جُوبِيْتَرُ يَحْمِلُ الْمَجَارِفَ الثَّلَاثَ ،
وَكَُنْتُ أَنَا أَحْمِلُ مِصْبَاحَيْنِ . أَمَّا لُوغِرَانُ فَلَمْ يَأْخُذْ مَعَهُ إِلَّا الْحَشْرَةَ الذَّهَبِيَّةَ
بَعْدَ أَنْ رَبطَهَا بِخَيْطٍ طَوِيلٍ ، وَكَانَ يُطَوِّحُ بِهَا يَمْنَةً وَيَسْرَةً أَثْنَاءَ سَيْرِهِ .
وَأَنَسَابَتِ الدُّمُوعُ مِنْ عَيْنَيَّ وَأَنَا أَرَى الدَّلِيلَ الْأَخِيرَ عَلَى اخْتِلَالِ عَقْلِ
صَدِيقِي .

سِرْنَا إِلَى بَرِّ الْجَزِيرَةِ الرَّئِيسِيِّ ، ثُمَّ اتَّجَهْنَا نَحْوَ الشَّمَالِ الْغَرْبِيِّ . وَبَعْدَ
مَسِيرَةِ سَاعَتَيْنِ تَقْرِيبًا وَصَلْنَا إِلَى أَرْضٍ مُرْتَفِعَةٍ وَمُنْبَسِطَةٍ مُحَاطَةٍ بِالْغَابَاتِ
وَالْأَرَاظِي الْمُعْشِيَةِ ، وَكَانَتِ الشَّمْسُ قَدْ آذَنْتْ بِالْمَغِيبِ . وَاتَّجَهَ لُوغِرَانُ
رَأْسًا نَحْوَ شَجَرَةٍ كَانَتْ قَائِمَةً مَعَ ثَمَانِي أَوْ عَشْرِ أَشْجَارٍ أُخْرَى وَسَطَ هَذِهِ
الْأَرْضِ الْمُنْبَسِطَةِ . وَكَانَتْ تِلْكَ الشَّجَرَةُ أَطْوَلَ مِنَ الْأَشْجَارِ الْأُخْرَى وَأكْثَرَ

مِنْهَا جَمَالًا ، وَكَانَتْ فُرُوعُهَا مُمتَدَّةً إِلَى كُلِّ جَانِبٍ نَاشِئَةً ظِلَالُهَا عَلَى
الْأَشْجَارِ الْمُجَاوِرَةِ . وَعِنْدَمَا وَصَلْنَا إِلَى تِلْكَ الشَّجَرَةِ ، اتَّجَهَ لُؤْغَرَانُ نَحْوَ
جُوبَيْتَرٍ وَسَأَلَهُ إِذَا كَانَ فِي وَسْعِهِ أَنْ يَتَسَلَّقَهَا . وَبَدَأَ أَنْ هَذَا الطَّلَبُ قَدْ أَذْهَشَ
الرَّجُلَ الْعَجُوزَ ، وَلِهَذَا ظَلَّ صَامِتًا لِحُظَةٍ ثُمَّ أَجَابَ فِي الْنَهَايَةِ بَعْدَ أَنْ نَظَرَ
بِعَيْنَيْهِ إِلَى الشَّجَرَةِ : « نَعَمْ ، يُمَكِّنُنِي أَنْ أُتَسَلَّقَهَا . إِلَى أَيِّ أَرْتِفَاعٍ تُرِيدُنِي أَنْ
أُتَسَلَّقَهَا ؟ »

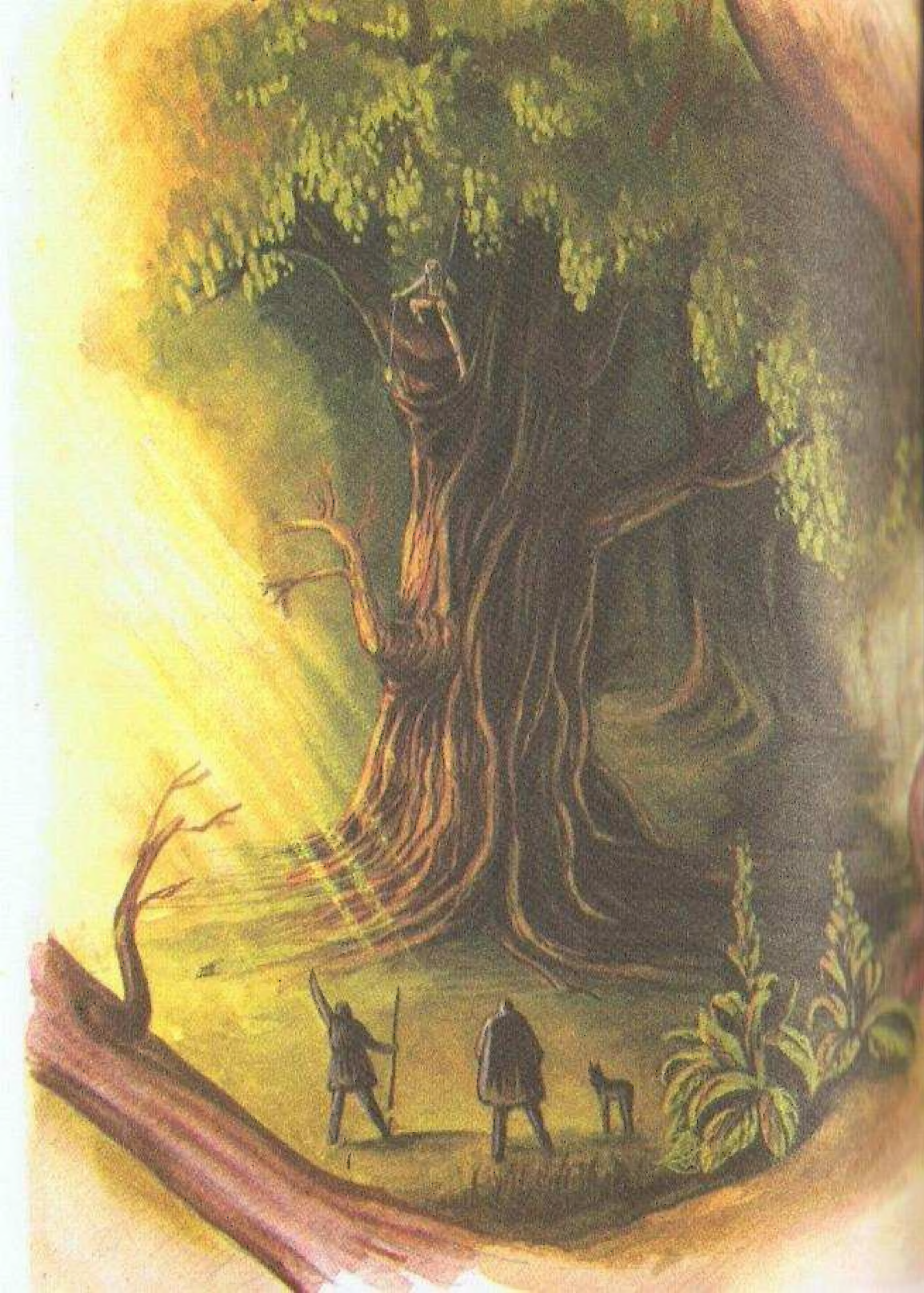
قَالَ : « تَسَلَّقِ الْجَذْعَ أَوَّلًا ، وَسَوْفَ أُخْبِرُكَ أَيَّ اتِّجَاهٍ تَأْخُذُ وَأَيْنَ
تَتَوَقَّفُ . خُذِ الْحَشْرَةَ مَعَكَ . »

قَالَ جُوبَيْتَرُ بِشَيْءٍ مِنَ الْإِسْتِئْزَارِ : « تَعْنِي الْحَشْرَةُ الذَّهَبِيَّةُ يَا سَيِّدِي ،
لِمَاذَا أَخْذُهَا ؟ »

قَالَ لُؤْغَرَانُ : « نَفَّذْ مَا أَقُولُهُ لَكَ . » ثُمَّ أَعْطَاهُ الْحَيْطَ الَّذِي رُبِطَتْ
الْحَشْرَةُ فِيهِ . « وَالْآنَ ، أَبْدَأُ فِي تَسَلُّقِ الشَّجَرَةِ . »

أَمْسَكَ الْخَادِمُ بِالْحَيْطِ مُرْغَمًا ، وَبَدَأَ يَتَسَلَّقُ . وَلَمْ يَكُنْ هَذَا الْجُزْءُ مِنَ
الْمِهُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ أَمْرًا عَسِيرًا ؛ ذَلِكَ أَنَّ الشَّجَرَةَ كَانَتْ كَبِيرَةً وَلَمْ يَكُنْ جِذْعُهَا
مُسْتَوِيًا ؛ مِمَّا جَعَلَ بِهِ عَدَدًا مِنَ التَّجَاوِيفِ الَّتِي مَكَنَتْ الْخَادِمَ مِنْ تَثْبِيتِ قَدَمَيْهِ
بِهَا . وَهَكَذَا أَصْبَحَ جُوبَيْتَرُ عَلَى بُعْدِ عِشْرِينَ مِثْرًا تَقْرِيبًا مِنَ الْأَرْضِ وَلَمْ تَمُضْ
إِلَّا دَقَائِقُ قَلِيلَةٍ .

صَاحَ لُؤْغَرَانُ : « وَاصِلُ تَسَلُّقِ الْجَذْعِ إِلَى أَنْ تُصِلَ الْفَرْعَ السَّابِعَ . »



بَعْدَ دَقَائِقَ قَلِيلَةٍ سَمِعْنَا جُوبَيْتَرَ يَقُولُ إِنَّهُ عَدَّ سِتَّةَ فُرُوعٍ أَسْفَلَ الْفَرْعِ الَّذِي
يَجْلِسُ عَلَيْهِ .

قَالَ لَهُ لُوغِرَانُ بِحِمَاسٍ شَدِيدٍ : « الْآنَ يَا جُوبَيْتَرَ ، تَسْلُقُ هَذَا الْفَرْعَ إِلَى
أَقْصَى قَدْرِ مُمَكِّنٍ وَأُخْبِرْنِي بِأَيِّ شَيْءٍ غَرِيبٍ تَرَاهُ . »

عِنْدَمَا سَمِعْتُ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ قُلْتُ فِي نَفْسِي وَالْحُزْنَ يَمَلَأُ جَوَانِحِي :
« إِنَّهُ لَمْ يَعُدْ هُنَاكَ أَدْنَى شَيْءٍ فِي أَنْ صَدِيقِي قَدْ جُنَّ . »

وَتَمَلَّكْتَنِي رَغْبَةٌ شَدِيدَةٌ فِي أَنْ آخُذَهُ إِلَى الْبَيْتِ . وَآتِنَاءَ تَفْكِيرِي فِي
الْأَسْلُوبِ الْأَمْثَلِ الَّذِي يُمَكِّنُنِي أَنْ أَتَّبِعَهُ سَمِعْتُ صَوْتَ جُوبَيْتَرَ مَرَّةً أُخْرَى
يَقُولُ : « أَنَا مُسْتَمِرٌّ فِي التَّسْلُقِ يَا سَيِّدِي وَسَوْفَ أَصِلُ قَرِيبًا إِلَى .. آه ..
رَحْمَتِكَ يَا رَبِّ . مَا هَذَا الَّذِي أَرَاهُ ؟ »

صَاحَ لُوغِرَانُ وَقَدْ آتَشَتْ بِهِ الْفَرْحُ : « حَسَنًا مَاذَا تَرَى ؟ »

قَالَ جُوبَيْتَرَ : « إِنَّهَا جُمُجْمَةٌ وَهِيَ مُثَبَّتَةٌ فِي الشَّجَرَةِ بِمَسَامِيرٍ . »

قَالَ لُوغِرَانُ : « حَسَنًا يَا جُوبَيْتَرَ ! افْعَلْ مَا أَقُولُهُ لَكَ بِالضَّبْطِ . هَلْ
تَسْمَعُنِي ؟ »

« نَعَمْ يَا سَيِّدِي . »

« إِنِّي لَمَّا أَقُولُهُ لَكَ . عَلَيْكَ بِالْعَيْنِ الْيُسْرَى لِلْجُمُجْمَةِ وَدَعْ الْحَشْرَةَ
تَسْقُطُ مِنْهَا فِي اتِّجَاهِ الْأَرْضِ إِلَى أَقْصَى مَا يَصِلُ إِلَيْهِ الْخَيْطُ . وَلَكِنْ كُنْ
حَرِيصًا وَلَا تَتْرِكِ الْخَيْطَ يُفْلِتُ مِنْ يَدِكَ . »

« الْعَيْنُ الْيُسْرَى يَا سَيِّدِي ؟ نَعَمْ وَجَدْتُهَا . إِنَّهُ مِنَ السَّهْلِ أَنْ أُجْعَلَ
الْحَشْرَةَ تَسْقُطُ مِنْ تَجْوِيفِ الْعَيْنِ هَذَا . هَلْ يُمَكِّنُكَ أَنْ تَرَاهَا وَقَدْ سَقَطَتْ إِلَى
أَسْفَلِ ؟ »

بَدَأْنَا آلَانَ نَرَى الْحَشْرَةَ تَلْمَعُ فِي طَرَفِ الْخَيْطِ وَكَأَنَّهَا كُرَةٌ مِنَ الذَّهَبِ
تَلَأُلُؤًا فِي أَشِعَّةِ شَمْسِ الْغُرُوبِ . قَامَ لُوغِرَانُ عَلَى الْفُورِ بِالْإِمْسَاكِ بِمِجْرَفَةٍ
وَأَخَذَ يُنْظِفُ بِهَا مِسَاحَةً دَائِرِيَّةَ قَطْرُهَا ثَلَاثَةُ أَمْتَارٍ أَوْ أَرْبَعَةٌ فِي الْمِنْطَقَةِ الَّتِي تَقَعُ
لَحْتَ الْحَشْرَةَ تَمَامًا . ثُمَّ أَمَرَ جُوبَيْتَرَ أَنْ يَتْرِكَ الْخَيْطَ يَسْقُطُ وَأَنْ يَنْزِلَ هُوَ مِنْ
فَوْقِ الشَّجَرَةِ .

وَضَعَ صَدِيقِي عَصًا فِي نَفْسِ النُّقْطَةِ الَّتِي وَقَعَتِ الْحَشْرَةُ عَلَيْهَا ، وَضَعَطَ
طَرَفَ الْعَصَا لِتَنْفُذِ فِي الْأَرْضِ . ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْ جَيْبِهِ شَرِيطَ قِيَاسٍ وَرَبَطَ طَرَفًا
مِنْهُ بِأَقْرَبِ جُزْءٍ مِنْ جَذْعِ الشَّجَرَةِ ، ثُمَّ بَسَطَ الشَّرِيطَ إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى
الْعَصَا . ثُمَّ اسْتَمَرَّ بَعْدَ ذَلِكَ لِمَسَافَةٍ تَزِيدُ عَلَى سِتَّةِ عَشَرَ مِثْرًا وَنِصْفَ الْمِثْرِ .
وَكَانَ جُوبَيْتَرَ يَسِيرُ أَمَامَهُ مُفَسِّحًا طَرِيقًا لَهُ وَلِلشَّرِيطِ مُسْتَعِدًّا الْمِجْرَفَةَ . عِنْدَ
النُّقْطَةِ الَّتِي وَصَلَ إِلَيْهَا ، جَاءَ لُوغِرَانُ بِعَصَا أُخْرَى وَغَرَسَهَا فِي الْأَرْضِ ، ثُمَّ
بَدَأَ فِي تَنْظِيفِ الْأَرْضِ حَوْلَ الْعَصَا فِي دَائِرَةٍ قَطْرُهَا مِثْرٌ وَرُبْعُ الْمِثْرِ . وَأَمْسَكَ
لُوغِرَانُ بِمِجْرَفَةٍ وَأَعْطَانِي مِجْرَفَةً وَأَعْطَى جُوبَيْتَرَ مِجْرَفَةً أُخْرَى ، وَطَلَبَ مِنَّا
أَنْ نَخْفِرَ عَلَى الْفُورِ .

وَالْحَقِيقَةُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَدَيَّ أَيُّ رَغْبَةٍ فِي الْقِيَامِ بِأَيِّ عَمَلٍ آخَرَ . وَكَانَ
يُودِي أَنْ أَرْفُضَ ذَلِكَ لَوْ اسْتَطَعْتُ مِنْ دُونِ أَنْ أُضَايِقَ صَدِيقِي الْمَسْكِينِ .

وَلَكِنَّهُ كَانَ مُتَحَمِّسًا جَدًّا ، وَرَأَيْتُ مِنْ الْحِكْمَةِ أَنَّ أُمْسِكَ بِالْمِجْرَفَةِ
وَأُظَاهَرَ عَلَى الْأَقْلَ بِالْعَاطِفِ مَعَهُ .

وَاصْلْنَا الْحَفَرَ فِي ضَوْءِ الْمَصْبَاحِ لِمُدَّةِ سَاعَتَيْنِ ، وَبَلَغَ عُمُقُ الْحُفْرَةِ مِثْرَيْنِ
تَقْرِيبًا مِنْ دُونَ أَنْ يَصِلَ إِلَى شَيْءٍ غَيْرِ الْحَصَى وَالرَّمْلِ . وَتَوَقَّفْنَا عَنِ الْحَفْرِ ،
وَبَدَأْتُ أُمْنِي النَّفْسَ أَنَّ هَذَا الْهَرَاءَ قَدْ وَصَلَ إِلَى نِهَائِهِ ، وَلَكِنَّ لُوْغْرَانَ مَسَحَ
وَجْهَهُ وَهُوَ غَارِقٌ فِي التَّفَكِيرِ ثُمَّ أُمْسَكَ بِالْمِجْرَفَةِ مَرَّةً أُخْرَى ، وَبَدَأَ يَحْفِرُ
ثَانِيَةً عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ عَلَامَاتِ خَبِيَّةِ الْأَمَلِ قَدْ ظَهَرَتْ وَاضِحَةً عَلَى وَجْهِهِ .
حَفَرْنَا جَوَانِبَ الدَّائِرَةِ كُلَّهَا ، ثُمَّ عَمَقْنَا الْحُفْرَةَ بِمِقْدَارِ قَدَمَيْنِ أُخْرَيْنِ .
وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَظْهَرْ مَا يَجْدِبُ النَّظَرَ . وَأَخِيرًا تَسَلَّقَ صَدِيقِي جَانِبَ الْحُفْرَةِ ،
وَوَقَفَ فَوْقَهَا وَقَدْ ظَهَرَتْ عَلَيْهِ عَلَامَاتُ الْهَزِيمَةِ الْمَرِيرَةِ . وَلَيْسَ سِتْرَتُهُ فِي
بُطْءٍ ، وَجَمَعَ جُوبِيَّتَرُ أَدَوَاتِ الْحَفْرِ وَقَفَلْنَا رَاجِعِينَ وَقَدْ خَيَّمَ عَلَيْنَا صَسْتُ
مُطْبِقٍ .

لَمْ نَكُذْ نَمْضِي بِضَعِّ خُطَوَاتٍ فِي طَرِيقِ عَوْدَتِنَا حَتَّى أُمْسَكَ لُوْغْرَانَ
بِتَلَايِبِ جُوبِيَّتَرٍ وَصَاحَ فِيهِ قَائِلًا : « أَيُّهَا الْعَبِيُّ ! أَيُّهَا الشَّخْصُ الَّذِي لَا
يَصْلُحُ لِشَيْءٍ ! تَكَلَّمْ ! أَجِبْ عَنْ سُؤَالِي عَلَى الْفَوْرِ : أَيُّ عَيْنَيْكَ هِيَ الْعَيْنُ
الْيُسْرَى ؟ »

صَاحَ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ : « آهْ يَا سَيِّدِي ، أَلَيْسَتْ هَذِهِ هِيَ عَيْنِي
الْيُسْرَى ؟ » ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى عَيْنِهِ الْيُمْنَى ، وَظَلَّ مُحْتَفِظًا بِهَا هَكَذَا كَأَنَّمَا
يَخْشَى أَنْ يَقُومَ سَيِّدُهُ بِاقْتِلَاعِ الْعَيْنِ مِنْ مَكَانِهَا .

صَاحَ لُوْغْرَانُ : « لَقَدْ تَوَقَّعْتُ ذَلِكَ ، وَعَرَفْتُ كُلَّ شَيْءٍ . مَرْحَى !
مَرْحَى ! تَعَالِيَا يَجِبُ أَنْ نَعُودَ . » ثُمَّ تَحَدَّثَ بِهَدْوٍ أَكْثَرَ مُسْتَفْسِرًا : « مِنْ
أَيِّ عَيْنٍ أَسْقَطْتَ الْحَشْرَةَ ، مِنْ هَذِهِ الْعَيْنِ أَمْ مِنْ هَذِهِ ؟ » وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى
عَيْنِي الرَّجُلِ الْمُسْكِينِ الْوَاحِدَةِ بَعْدَ الْأُخْرَى .

أَجَابَ الرَّجُلُ : « مِنْ هَذِهِ الْعَيْنِ يَا سَيِّدِي - الْعَيْنِ الْيُسْرَى - تَمَامًا كَمَا
مَلَبَّتُ مَنِي . » وَوَضَعَ يَدَهُ مَرَّةً أُخْرَى عَلَى عَيْنِهِ الْيُمْنَى .

قَالَ لُوْغْرَانُ : « هَذَا يَكْفِي ! يَجِبُ أَنْ نُعِيدَ الْمُحَاوَلَةَ . »

رَجَعْنَا إِلَى الشَّجَرَةِ ، وَنَقَلَ صَدِيقِي الْعَصَا ، الَّتِي كَانَ قَدْ غَرَسَهَا فِي
الْأَرْضِ فِي الْمَكَانِ الَّذِي وَقَعَتْ الْحَشْرَةُ عَلَيْهِ ، إِلَى مَكَانٍ جَدِيدٍ غَرَسَهَا فِيهِ
يَبْعُدُ حَوَالِي ثَمَانِيَةِ سِتِّمِثْرَاتٍ غَرْبِيَّ مَكَانِهَا السَّابِقِ . وَأَخَذَ شَرِيطَ الْقِيَاسِ
وَقَاسَ الْمَسَافَةَ بَيْنَ الشَّجَرَةِ وَالْعَصَا ، وَاسْتَمَرَّ فِي خُطِّ مُسْتَقِيمٍ إِلَى مَسَافَةِ سِتَّةِ
عَشَرَ مِثْرًا وَنِصْفَ الْمِثْرِ . وَبِذَلِكَ وَصَلْنَا إِلَى مَكَانٍ يَبْعُدُ عِدَّةَ أَمْتَارٍ عَنِ الْحُفْرَةِ
الَّتِي كُنَّا قَدْ حَفَرْنَاهَا . وَقَامَ لُوْغْرَانُ بِعَمَلِ دَائِرَةٍ أُخْرَى حَوْلَ النَّقْطَةِ
الْجَدِيدَةِ ، ثُمَّ بَدَأْنَا الْحَفَرَ مَرَّةً أُخْرَى .

أَخَذْنَا نَحْفِرُ صَامِتِينَ لِمُدَّةِ سَاعَةٍ وَنِصْفِ السَّاعَةِ تَقْرِيبًا عِنْدَمَا قَاطَعَنَا
الْكَلْبُ بِنُبَاحِهِ الشَّدِيدِ ، ثُمَّ أُنْذِفَ فَجَاءَهُ نَحْوُ الْحُفْرَةِ وَأَخَذَ يَحْفِرُ بِرِجْلَيْهِ
الْأُمَامِيَّتَيْنِ وَكَأَنَّمَا قَدْ أَصَابَهُ مَسٌّ مِنَ الْجُنُونِ . وَبَعْدَ ثَوَانٍ قَلِيلَةٍ رَأَيْنَا كُتْلَةً مِنْ
الْعِظَامِ الْبَشَرِيَّةِ لِشَخْصَيْنِ . وَكَانَتْ تِلْكَ الْعِظَامُ مَخْلُوطَةً بِمَا يُشَبِّهُ الرَّمَادَ
الَّذِي يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ نَتِيجَةُ تَحَلُّلِ مَلَابِسِ الْمَيِّتَيْنِ . وَبَعْدَ أَنْ رَفَعْنَا بَعْضَ

الآثريّة وَجَدْنَا نَصْلَ سِكِّينَ كَبِيرَةٍ ، ثُمَّ وَاصَلْنَا الْحَفَرَ ، وَبَعْدَ قَلِيلٍ لَمَعَتْ فِي ضَوْءِ الْمِصْبَاحِ بَضْعُ قِطْعٍ مِنَ الْعُمْلَةِ الذَّهَبِيَّةِ وَالْفِضِّيَّةِ .

أَهَابَ بَنَا لُوْغْرَانُ أَنْ تُوَاصِلَ الْحَفَرَ ، وَمَا كَادَ يَنْتَهِي مِنْ حَدِيثِهِ حَتَّى ظَهَرَتْ حَلَقَةٌ حَدِيدِيَّةٌ كَبِيرَةٌ ، وَسَرَّعَانَ مَا اكْتَشَفْنَا أَنَّ هَذِهِ الْحَلَقَةُ مُتَّصِلَةٌ بِصُنْدُوقٍ خَشَبِيٍّ كَبِيرٍ . فَوَاصَلْنَا الْعَمَلَ بِجِدٍّ وَنَشَاطٍ وَكَانَتْ الدَّقَائِقُ الْعَشْرُ التَّالِيَةُ مِنْ أَكْثَرِ أَوْقَاتِ حَيَاتِي إِثَارَةً . كَانَ طُولُ الصُّنْدُوقِ مِثْرًا ، وَعَرْضُهُ تِسْعِينَ سَنْتِيْمِترًا ، وَارْتِفَاعُهُ خَمْسَةً وَسَبْعِينَ سَنْتِيْمِترًا . وَكَانَتْ الْحَلَقَةُ الَّتِي ظَهَرَتْ لَنَا فِي الْبَدَايَةِ وَاحِدَةً مِنْ سِتِّ حَلَقَاتٍ كُلُّ ثَلَاثٍ مِنْهَا فِي جَانِبٍ بِحَيْثُ يَقُومُ سِتَّةُ أَفْرَادٍ بِحَمْلِ الصُّنْدُوقِ . وَلَمْ نَتِمَكَّنْ نَحْنُ مِنْ زَخْرَجَةِ الصُّنْدُوقِ إِلَى أَكْثَرِ مِنْ سَنْتِيْمِترَيْنِ ، وَلَكِنْ مِنْ حُسْنِ حِظَّنَا أَنَّ غِطَاءَ الصُّنْدُوقِ لَمْ يَكُنْ مُغْلَقًا إِلَّا بِمِزْلَاجَيْنِ ، فَلَمَّا جَذَبْنَاهُمَا إِلَى الْخَلْفِ أُمَكَّنْنَا أَنْ نَفْتَحَ الصُّنْدُوقَ . وَبَعْدَ لَحْظَةٍ وَجَدْنَا أَمَامَنَا كَنْزًا لَا يُقَدَّرُ بِشَيْءٍ ، وَكَانَ ضَوْءُ الْمِصْبَاحِ يَنْعَكِسُ عَلَى أَكْوَامِ الذَّهَبِ وَالْجَوَاهِرِ وَيُرْسِلُ مِنَ الْوَمِيزِ مَا لَا تُقَدَّرُ أَغْنَيْنَا عَلَى النَّظَرِ إِلَيْهِ لِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ .

لَا يُمَكِّنُنِي أَنْ أَصِفَ مَشَاعِرَنَا وَنَحْنُ نَرَى مَا رَأَيْنَا . لَقَدْ وَقَفْنَا مِنْ دُونِ كَلِمَةٍ أَوْ حَرَاكٍ لِمُدَّةٍ دَقِيقَتَيْنِ فِيمَا اعْتَقَدُ ؛ ثُمَّ جَثَا جُوبِيَتَرٌ عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَكَانَهُ فِي حُلْمٍ ، وَأَدْخَلَ ذِرَاعَيْهِ حَتَّى كَتَفَيْهِ فِي الذَّهَبِ وَالْجَوَاهِرِ وَقَالَ فِي هُدُوءٍ : « هَذَا كُلُّهُ قَدْ جَاءَتْ بِهِ الْحَشْرَةُ الذَّهَبِيَّةُ ؟ كُلُّ هَذَا مِنَ الْحَشْرَةِ الذَّهَبِيَّةِ ! » أَصْبَحَ لِزَامًا عَلَيْنَا أَنْ نَتَفَكَّرَ فِي طَرِيقَةٍ نَنْقُلُ بِهَا هَذَا الْكَثْرَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ



الصَّبَاحُ . فَنَاقَشْنَا فِي ذَلِكَ ، وَفَرَرْنَا بَعْدَ فِتْرَةٍ وَجِيزَةٍ مِنَ الْمُنَاقَشَةِ أَنْ نُخَفِّفَ
الصُّنْدُوقَ بِأَنْ نَنْقُلَ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنْ نِصْفِ الْقِطْعِ الْكَبِيرَةِ وَنَقُومَ بِتَخْفِيفِهَا وَسُطِّ
الْأَغْشَابِ . وَلَمَّا أَنْجَزْنَا ذَلِكَ ، تَرَكْنَا الْكَلْبَ لِيَحْرُسَهَا ثُمَّ أَسْرَعْنَا بِالصُّنْدُوقِ
وَوَصَلْنَا بِهِ إِلَى الْكُوجِ السَّاعَةِ الْوَاحِدَةِ صَبَاحًا بَعْدَ رِحْلَةٍ شَاقَّةٍ لِلْغَايَةِ . ثُمَّ
أَخَذْنَا رَاحَتَنَا حَتَّى الثَّانِيَةِ وَتَنَاوَلْنَا الْعِشَاءَ ، وَرَجَعْنَا بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى التَّلَالِ وَمَعَنَا
ثَلَاثُ حَقَائِبَ مَتِينَةٍ ، فَوَصَلْنَا إِلَى مَكَانِ الْكَثَرِ قَبْلَ السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ . عِنْدَئِذٍ قُمْنَا
بِتَقْسِيمِ مَا تَبَقِيَ مِنْهُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ مُتَسَاوِيَةٍ تَقْرِيبًا ، وَوَضَعْنَا كُلَّ قِسْمٍ فِي
حَقِيْقَةٍ ، وَحَمَلْنَا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنَا حَقِيْقَةً ، وَقَفَلْنَا رَاجِعِينَ لِنَصِلَ إِلَى الْكُوجِ لِلْمَرَّةِ
الثَّانِيَةِ وَقَدْ أَوْشَكَ نُورُ الصَّبَاحِ عَلَى الظُّهُورِ مِنْ بَعِيدٍ .

أَخَذْنَا قَدْرًا آخَرَ مِنَ الرَّاحَةِ ، ثُمَّ قُمْنَا بِفَحْضِ قِطْعِ الْكَثَرِ وَفَرَزْنَا بِعِنَايَةٍ
كَبِيرَةٍ ، فَوَجَدْنَا أَنَّنَا لِنَمْلِكُ ثَرَوَةً فَاقَتْ فِي ضَخَامَتِهَا كُلَّ مَا تَخَيَّلْنَاهُ . فَقَدْ كَانَ
عَدَدُ الْعُمَلَاتِ يَفُوقُ أَرْبَعِمِئَةً وَخَمْسِينَ أَلْفَ دُولَارٍ . وَلَمْ تَكُنْ بِالْمَجْوَهَرَاتِ
قِطْعَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ الْفِضَّةِ ، بَلْ كَانَتْ كُلُّهَا مِنَ الذَّهَبِ الْمُتَنَوِّعِ الْأَشْكَالِ الَّذِي
يَرْجِعُ صُنْعُهُ إِلَى أَرْمَانٍ قَدِيمَةٍ ، وَكَانَتْ هُنَاكَ نُقُودٌ مِنْ مُخْتَلِفِ دُولِ أَوْرُبَا .
وَكَانَ مِنَ الصَّعْبِ تَحْدِيدُ قِيَمَةِ مَا يَحْتَوِيهِ الْكَثَرُ مِنَ الْجَوَاهِرِ وَالْأَلْمَاسِ
وَاللَّالِئِ ، وَمَا إِلَيْهَا وَمِثَالِ الْحُلِيِّ الذَّهَبِيَّةِ ، وَكَانَ إِجْمَالِيٌّ وَزْنُهَا حَوَالِي مِئَةِ
وِثْمَانِينَ كِيلُو غَرَامًا . وَلَا يَشْمَلُ هَذَا الرِّقْمُ وَزْنَ مِئَةِ وَسَبْعٍ وَتِسْعِينَ سَاعَةً
ذَهَبِيَّةً جَمِيلَةً ، مِنْهَا ثَلَاثُ يُقَدَّرُ ثَمَنُ الْوَاحِدَةِ مِنْهَا بِخَمْسِمِئَةِ دُولَارٍ . وَقَدْ
قَدَّرْنَا قِيَمَةَ الْكَثَرِ كُلِّهِ بِحَوَالِي مِليونِ دُولَارٍ وَنِصْفِ الْمِليونِ وَلَكِنَّا وَجَدْنَا
بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ الْقِيَمَةَ الْحَقِيقِيَّةَ كَانَتْ أَكْبَرَ بِكَثِيرٍ .

فِي اللَّيْلَةِ التَّالِيَةِ حَكَى لِي لُوغِرَانُ قِصَّةَ ذَلِكَ الْحَدَثِ الْغَرِيبِ . قَالَ :
« أَتَذْكُرُ تِلْكَ الْوَرَقَةَ الَّتِي رَسَمْتُ لَكَ عَلَيْهَا صُورَةَ الْحَشْرَةِ ؟ »
سَأَلْتُهُ : « الْحَشْرَةُ الَّتِي كَانَتْ تَبْدُو كَجُمُجْمَةٍ ؟ »

أَجَابَ : « نَعَمْ ، لَقَدْ كَانَتْ تِلْكَ الْوَرَقَةُ فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ قِطْعَةً مِنَ الْجِلْدِ
الرَّقِيقِ . وَعِنْدَمَا أَعَدْتُهَا إِلَيَّ وَجَدْتُ صُورَةَ جُمُجْمَةٍ فِي الْمَكَانِ الَّذِي رَسَمْتُ
بِهِ صُورَةَ الْحَشْرَةِ . وَلَكِنْ عِنْدَمَا قَلَبْتُ الْوَرَقَةَ وَجَدْتُ الرَّسْمَ الَّذِي رَسَمْتُهُ
عَلَى الْوَجْهِ الْآخِرِ بِقِطْعَةِ الْجِلْدِ . فَوَجَدْتُ أَمَامِي لُغْزًا مُحِيرًا ، ذَلِكَ أَنَّنِي
كُنْتُ مُتَاكِدًا عِنْدَمَا قُمْتُ بِرِسْمِ الْحَشْرَةِ أَنَّ وَجْهِي قِطْعَةَ الْجِلْدِ كَانَا خَالِيَيْنِ
مِنْ أَيِّ رَسْمٍ .

« وَحَاوَلْتُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَنْ أُحْلِلَ هَذَا اللَّغْزَ بَعْدَ أَنْ خَرَجْتَ أَنْتَ وَبَدَأَ
جُوبِئِرُ يَغْطُ فِي نَوْمِهِ . وَتَذَكَّرْتُ أَنَّنِي كُنْتُ قَدْ وَجَدْتُ قِطْعَةَ الْجِلْدِ تِلْكَ
عِنْدَمَا كَانَتْ مَطْمُورَةً إِلَى نِصْفِهَا فِي الرَّمْلِ بِجَوَارِ الْمَكَانِ الَّذِي وَجَدْنَا
الْحَشْرَةَ فِيهِ . وَكَانَ جُوبِئِرُ قَدْ أَخَذَ تِلْكَ الْقِطْعَةَ مِنَ الْجِلْدِ لِيُمْسِكَ بِهَا
الْحَشْرَةَ خَشْيَةً أَنْ تُلْسَعَهُ . وَقَدْ وَضَعْتُ الْحَشْرَةَ فِي قِطْعَةِ الْجِلْدِ وَلَفَفْتُهَا بِهَا
وَحَمَلْتُهَا إِلَى أَنْ قَابَلْنَا صَدِيقِي ج... وَلَا بُدَّ أُنِّي وَضَعْتُ قِطْعَةَ الْجِلْدِ فِي جَيْبِي
مِنْ دُونِ تَفْكِيرٍ بَعْدَ أَنْ أَعَرْتُ صَدِيقِي الْحَشْرَةَ .

« عِنْدَمَا فَكَّرْتُ فِيمَا حَدَثَ تَفْكِيرًا عَمِيقًا تَذَكَّرْتُ حَقِيقَةَ غَرِيبَةٍ ، وَهِيَ
الَّتِي لَاحِظْتُ فِي الْمَكَانِ الَّذِي وَجَدْتُ الْحَشْرَةَ فِيهِ بَقَايَا قَارِبٍ تَابِعِ لِسَفِينَةٍ
قَدِيمَةٍ . وَلَمْ يَبْقَ مِنْ هَذَا الْقَارِبِ إِلَّا بَضْعُ قِطْعٍ مِنَ الْخَشَبِ مُلْفَقَةٍ عَلَى

الشَّاطِئِي .. رُبَّمَا تَعْتَقِدُ أَنَّ الْخَيَالَ قَدْ جَمَعَ بِي ، وَلَكِنَّ شَيْئًا مَا يَرْبُطُ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ : هُنَاكَ حُطَامُ الْقَارِبِ وَبِجَوَارِهِ قِطْعَةٌ مِنَ الْجِلْدِ أَوْ الْوَرَقِ مَرْسُومٌ عَلَيْهَا صُورَةُ جُمُجْمَةٍ . أَنْتَ تَعْرِفُ بِالطَّبْعِ أَنَّ الْجُمُجْمَةَ هِيَ الْعَلَامَةُ الْمَعْتَادَةُ لِقَرَاصِنِ الْبَحْرِ ، وَأَنَّ عِلْمَ الْقَرَاصِنِ غَالِبًا مَا يَكُونُ عَلَيْهِ صُورَةُ جُمُجْمَةٍ . « قَاطَعَتُهُ قَائِلًا : « وَلَكِنَّكَ قُلْتَ إِنَّ الْوَرَقَ أَوْ قِطْعَةَ الْجِلْدِ لَمْ تَكُنْ عَلَيْهَا آيَةٌ عِلَامِيَّةٌ عِنْدَمَا رَسَمْتَ عَلَيْهَا صُورَةَ الْحَشْرَةِ . كَيْفَ إِذَا ظَهَرَتْ صُورَةُ الْجُمُجْمَةِ ، وَمَتَى ظَهَرَتْ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ ؟ »

أَجَابَ : « آه ، هُنَا يَكْمُنُ السِّرُّ كُلُّهُ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ غَمُوضَهُ لَمْ يَطُلْ . لَقَدْ اسْتَرْجَعْتُ فِي ذِهْنِي جَمِيعَ تَفَاصِيلِ هَذَا الْحَادِثِ . فَفِي اللَّيْلَةِ الَّتِي زُرْتَنِي فِيهَا كَانَ الْجَوُّ بَارِدًا - وَكَانَ ذَلِكَ لِحُسْنِ حَظَّنَا - وَكُنْتُ أَنْتَ جَالِسًا بِجَوَارِ الْمِدْفَاةِ . وَعِنْدَمَا وَضَعْتَ قِطْعَةَ الْجِلْدِ فِي يَدِكَ وَبَدَأْتَ أَنْتَ تَرَى الرَّسْمَ قَفَزَ الْكَلْبُ عَلَى كَتِفِكَ ، فَبَدَأْتَ تُدَاعِبُهُ بِإِحْدَى يَدَيْكَ ، بَيْنَمَا كَانَتْ أَلْيَدُ الْأُخْرَى الَّتِي تُمَسِّكُ قِطْعَةَ الْجِلْدِ قَدْ اقْتَرَبَتْ مِنْ نَارِ الْمِدْفَاةِ . نَظَرْتُ فِي آخِرِ الْأَمْرِ إِلَى قِطْعَةِ الْجِلْدِ فَوَجَدْتُ جُمُجْمَةً مَرْسُومَةً عَلَيْهَا ، وَلَكِنَّ صُورَةَ الْحَشْرَةِ الَّتِي رَسَمْتُهَا كَانَتْ عَلَى الْوَجْهِ الْآخِرِ الَّذِي لَمْ تَنْظُرْ إِلَيْهِ . وَعِنْدَمَا فَكَّرْتُ فِي هَذَا الْأَمْرِ وَجَدْتُ مِنَ الْمَعْقُولِ أَنَّ اسْتِنْتِجَ أَنَّ حَرَارَةَ الْمِدْفَاةِ هِيَ الَّتِي أَظْهَرَتْ صُورَةَ الْجُمُجْمَةِ . فَمِنْ الْمَعْرُوفِ أَنَّ هُنَاكَ بَعْضَ الْمَوَادِّ الَّتِي يُمَكِّنُ بِوَاسِطَتِهَا أَنْ تُكْتَبَ عَلَى الْوَرَقِ أَوْ الْجِلْدِ بِحَيْثُ لَا تَظْهَرُ الْكِتَابَةُ إِلَّا عِنْدَ تَسْخِينِ الْمَادَّةِ الْمَكْتُوبِ بِهَا بِحَيْثُ تَخْتَفِي هَذِهِ الْكِتَابَةُ عِنْدَ تَبْرِيدِهَا وَلَكِنَّهَا تُعَاوِدُ الظُّهُورَ دَائِمًا كُلَّمَا سَخَّنَاهَا .

« وَلَكِنِّي اخْتَبَرْتُ مَدَى صِحَّةِ هَذَا الْأَسْتِنْتِجِ قُمْتُ عَلَى الْفُورِ بِإِشْعَالِ النَّارِ فِي الْمِدْفَاةِ ، وَسَخَّنْتُ قِطْعَةَ الْجِلْدِ تَسْخِينًا كَامِلًا . وَبَعْدَ بَضْعِ دَقَائِقَ ظَهَرَتْ فِي الرُّكْنِ الْمُوَاجِهِ لِصُورَةِ الْجُمُجْمَةِ صُورَةُ جَدْيٍ أَوْ مَا عِزِ صَغِيرٍ (وَيُطْلَقُ عَلَى الْمَاعِزِ الصَّغِيرِ بِاللُّغَةِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ كَلِمَةُ كِيد Kid) وَلَا بُدَّ أَنَّكَ قَدْ سَمِعْتَ عَنْ كَاتِبَيْنِ كِيدِ الْمَشْهُورِ ، فَأَذْرَكْتُ عَلَى الْفُورِ أَنَّ صُورَةَ الْجَدْيِ إِنَّمَا هِيَ تَوْقِيعُ الْكَاتِبَيْنِ كِيدِ نَفْسِهِ . وَمِمَّا جَعَلَنِي أَقُولُ إِنَّهَا تَوْقِيعُهُ أَنَّ مَكَانَ الصُّورَةِ فِي أَسْفَلِ قِطْعَةِ الْجِلْدِ عَلَى الْيَمِينِ يُوحِي بِذَلِكَ بِدَرَجَةٍ كَبِيرَةٍ - كَمَا أَنَّهُ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ نَعْتَبِرَ الْجُمُجْمَةَ الْمَرْسُومَةَ أَعْلَى الْقِطْعَةِ خَتْمًا رَسْمِيًّا . »

سَأَلْتُهُ : « وَلَكِنْ هَلْ كَانَتْ هُنَاكَ أَيُّ رِسَالَةٍ بَيْنَ الْحَتْمِ وَالتَّوْقِيعِ ؟ »

أَجَابَ : « لَا ، لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ أَيُّ رِسَالَةٍ . وَلَكِنَّ اعْتِقَادِي بِوُجُودِ كَثْرٍ مَدْفُونٍ فِي مَكَانٍ قَرِيبٍ حَفَزَنِي إِلَى أَنْ أَسْتَمِرَّ فِي التَّجْرِبَةِ دُونَ إِنْطَاءٍ . فَأَضْفْتُ مَرِيدًا مِنَ الْحَشَبِ لِنَارِ الْمِدْفَاةِ ، وَسَخَّنْتُ بَعْضَ الْمَاءِ ثُمَّ غَسَلْتُ قِطْعَةَ الْجِلْدِ بِعِنَايَةٍ . فَقَدْ كَانَتْ عَلَى قِطْعَةِ الْجِلْدِ طَبَقَةٌ مِنَ الْأَوْسَاجِ . وَقُلْتُ فِي نَفْسِي إِنَّ هَذَا هُوَ سَبَبُ عَدَمِ ظُهُورِ أَيِّ كِتَابَةٍ . وَعِنْدَمَا تَرَكْتُ الْقِطْعَةَ لِتَجِفَّ أَخَذْتُ أَفْكَرُ فِي كَاتِبَيْنِ كِيدٍ وَالْكَثَرِ الَّذِي قِيلَ إِنَّهُ دَفَنَهُ فِي مَكَانٍ مَا عَلَى هَذَا السَّاحِلِ . لَقَدْ كَانَ قُرْصَانًا جَسُورًا وَمُوفِقًا فِي غَارَاتِهِ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ بَعْضُ الصَّدَقِ فِيمَا دَارَ مِنْ أَقَاصِيصِ حَوْلِ ثَرَوِيَةِ الْمُحَبَّاءِ لِمَا اسْتَمَرَّتْ تِلْكَ الْأَقَاصِيصُ مُتَدَاوِلَةً عَلَى مَرِّ الزَّمَنِ وَبِدُونِ انْقِطَاعٍ . وَمِمَّا يَجْدُرُ بِالْمُلاحَظَةِ أَنَّ كُلَّ هَذِهِ الْقِصَصِ تَدُورُ حَوْلَ الْبَحْثِ عَنِ التَّقْوِدِ لَا حَوْلَ الْعُثُورِ عَلَيْهَا ، وَقَدْ أُوْحِيَ

من قِصر الرسالة . وهكذا يمكننا أن نقول الآن ونحن على يقين بأن الرقم 8
يرمز إلى الحرف e .

« وأكثر الكلمات شيوعاً في اللغة الإنجليزية هي كلمة The . وعلينا الآن
أن نبحث في الرسالة لنرى هل هناك مجموعات من الكلمات مكونة من ثلاثة
رموز آخرها الرقم 8 على أن يكون ترتيب هذه الرموز واحداً في الكلمات
جميعها ؟ وبعد شيء من البحث نجد أن مجموعة الرموز (48) تتكرر
بنفس هذا الترتيب سبع مرات ، ومن ثم يمكننا أن نستنتج أن مجموعة
الرموز (48) تمثل الكلمة The وعليه فإن الرمز (i) يمثل حرف t والرمز 4
يمثل الحرف h .

« ولننظر الآن إلى المكان الذي قبل الأخير وتظهر فيه مجموعة الرموز
(48) قرب نهاية الرسالة . بإمكاننا أن نحل هذه الرموز مستخدمين الأحرف
الثلاثة التي عرفناها حتى الآن على النحو الآتي : -
4 ; 88 ; 48 ;

the / t. ee / th

« لدينا هنا كلمة The وبَعْدَهَا كلمتان . وأقول كلمتين لأنه لا توجد في
اللغة الإنجليزية كلمة تبدأ بحرف t وتنتهي بحرفي th وتكون مكونة من ستة
حروف . عندما تجرّب كل حروف الألفباء تجد أن الحرف الناقص هو
حرف r الذي يعطينا كلمة tree بمعنى شجرة . وهكذا يمكن القول أن
الرمز (يشير إلى الحرف r . ويمكننا أن نستفيد كذلك من مجموعة الرموز

(48) إذا قمنا بفحص مجموعة الرموز الآتية واستبدلنا ببعض الرموز
الحروف التي تمثلها : -

48 ; 34 ; 4) 88 ; 48 ;

the/ tree/ thr...h/ the

« ويمكن الوصول بسهولة إلى معرفة أن الأحرف الثلاثة الناقصة هي oug
لنطينا كلمة through بمعنى خلال أو وسط ؛ وهكذا نكون قد توصلنا إلى
معرفة ثلاثة أحرف جديدة هي oug و تمثلها 3 ; 48 ;

« وواصلت بحثي على هذا النحو كي أصل إلى معرفة الرموز المستخدمة
مكان باقي الحروف مستفيداً كل الاستفادة بالحروف التي أمكنني معرفتها .
فكتبت على سبيل المثال المجموعة : -

88 (83) †

.egree

الموجودة قرب بداية الرسالة ، وأمكنتني بسهولة أن أستنتج أنها تمثل كلمة
degree (درجة) وبذلك عرفت أن الرمز † يحل محل الحرف d .

« ليس من الضروري أن أستطرد أكثر من هذا في إيضاح الطريقة التي
استخدمتها في حل هذه الرسالة الشفوية . فقد ذكرت ما فيه الكفاية لإيضاح
الأسلوب الذي يمكن استخدامه لحلها ولأوضح لك أن هذا اللغز بالذات لم
يكن صعباً . ولكن عندما قمت بترجمة رسالة كيد ترجمته عملية كان علي أن
أقوم بتصحيح خطأ أو خطأتين مستخدماً معرفتي بهذه المنطقة . وإليك
ترجمتي للرسالة : -

« رُجَاجَةٌ جَيِّدَةٌ فِي قَلْعَةٍ يَسُوبُ بِمَقْعَدِ الشَّيْطَانِ - وَاحِدٌ وَأَرْبَعُونَ دَرَجَةً - الشَّمَالُ الشَّرْقِيُّ وَشَمَالًا - الْفَرْعُ الرَّئِيسِيُّ لِلشَّجَرَةِ - الطَّرْفُ السَّابِعُ إِلَى جِهَةِ الشَّرْقِ - اقْدِفْ مِنَ الْعَيْنِ الْيُسْرَى لِلْجُمُجْمَةِ - حَظٌّ مِنْ الشَّجَرَةِ إِلَى مَكَانِ الْقَذْفِ - خَمْسُونَ قَدَمًا إِلَى الْخَارِجِ . »

« كُنْتُ قَدْ سَمِعْتُ عَنْ عَائِلَةٍ بِاسْمِ يَسُوبَ ، وَكَانَتْ تِلْكَ الْعَائِلَةُ مِنْ أَكْبَرِ مُلَاكِ الْأَرْضِ فِي تِلْكَ الْمِنْطَقَةِ فِي الْمَاضِي . فَقُمْتُ بِعَمَلِ اسْتِفْصَارَاتٍ دَقِيقَةٍ بَيْنَ كِبَارِ السَّنِّ بِتِلْكَ النَّاحِيَةِ ، وَأَخِيرًا قَابَلْتُ أَمْرَأَةً طَاعِنَةً فِي السَّنِّ كَانَتْ تَقُومُ بِخِدْمَةِ تِلْكَ الْعَائِلَةِ مُنْذُ عِدَّةٍ سِنِينَ . وَعَرَفْتُ مِنْهَا أَنَّهَا كَانَتْ تَسْمَعُ بِالْمَكَانِ الَّذِي يُطْلَقُ عَلَيْهِ اسْمُ الْقَلْعَةِ ، وَقَالَتْ إِنَّ فِي وَسْعِهَا أَنْ تَقُودَنِي إِلَيْهِ ، وَأَضَافَتْ إِنَّ الْمَكَانَ لَمْ يَكُنْ قَلْعَةً عَلَى الْإِطْلَاقِ بَلْ صَخْرَةٌ عَالِيَةٌ . »

« وَجَدْنَا الْمَكَانَ بِدُونِ صُعُوبَةٍ ، وَهُوَ مَجْمُوعَةٌ غَيْرُ مُنْتَظِمَةٍ مِنْ الْمُنْحَدِرَاتِ الْجَبَلِيَّةِ وَالصُّخُورِ ، وَكَانَتْ إِحْدَى تِلْكَ الصُّخُورِ أَعْلَى بِكَثِيرٍ مِنَ الصُّخُورِ الْأُخْرَى مِمَّا جَعَلَ شَكْلَهَا أَلْعَامَ يُشَبِّهُ بُرْجَ الْقَلْعَةِ . فَتَسَلَّقْتُ تِلْكَ الصَّخْرَةَ حَتَّى قِمَّتِهَا وَجَلَسْتُ هُنَاكَ أَفَكِّرُ فِيمَا يُمَكِّنُ عَمَلَهُ بَعْدَ ذَلِكَ . »

« وَسَرَّعَانَ مَا وَقَعَتْ عَيْنَايَ عَلَى بُرُوزِ صَخْرِي يَقَعُ عَلَى بُعْدِ مِثْرٍ تَحْتَ الْمَكَانِ الَّذِي أَجْلَسْتُ عَلَيْهِ . وَكَانَ شَكْلُهُ يُشَبِّهُ الْكُرْسِيَّ شَبَّاهًا كَامِلًا بِظَهْرِهِ وَمَقْعَدِهِ . وَلَمْ يَبْقَ عِنْدِي أَيُّ شَكٍّ أَنَّ هَذَا هُوَ « مَقْعَدُ الشَّيْطَانِ » الَّذِي جَاءَ ذِكْرُهُ فِي الرِّسَالَةِ ، فَتَرَلْتُ إِلَيْهِ وَوَجَدْتُ أَنَّهُ مِنَ الْمُسْتَحِيلِ الْجُلُوسُ عَلَيْهِ إِلَّا فِي وَضْعٍ وَاحِدٍ مُحَدَّدٍ . وَأَدْرَكْتُ فَجْأَةً أَلْسَرَ الْكَامِلَ الَّذِي تُشِيرُ إِلَيْهِ الرِّسَالَةُ . »

« إِنَّ عِبَارَةَ (رُجَاجَةٌ جَيِّدَةٌ) الَّتِي بِالرِّسَالَةِ لَا تُعْنِي رُجَاجَةُ شَرَابٍ أَبَدًا ، وَإِنَّمَا تُعْنِي رُجَاجَةُ الْبَحَارِ أَوْ التَّلْسُكُوبِ . وَأَنَّ مِنَ الْوَاجِبِ اسْتِخْدَامِ التَّلْسُكُوبِ وَأَنْتَ جَالِسٌ عَلَى مَقْعَدِ الشَّيْطَانِ فِي ذَلِكَ الْوَضْعِ الْوَحِيدِ الَّذِي يُسَمَّحُ بِهِ الْمَقْعَدُ . وَاتَّضَحَ لِي أَيْضًا أَنَّ عِبَارَةَ (وَاحِدٌ وَأَرْبَعُونَ دَرَجَةً - الشَّمَالُ الشَّرْقِيُّ وَشَمَالًا) إِنَّمَا تُدَلُّ عَلَى تَوَجُّهِاتٍ خَاصَّةٍ بِالْمَكَانِ الَّذِي خُبِّي فِيهِ التَّلْسُكُوبِ . وَزَادَتْ هَذِهِ الْأَسْتِثْنَاةُ مِنْ تَوَثُّرِ أَغْصَانِي ، فَاسْرَعْتُ إِلَى الْبَيْتِ وَأَخْضَرْتُ تِلْسُكُوبِي ثُمَّ رَجَعْتُ ثَانِيَةً إِلَى الصَّخْرَةِ . »

« حَدَّثْتُ زَاوِيَةَ الرُّؤْيَا بِأَقْصَى دَقَّةٍ مُمَكِّنَةٍ مُسْتَعْدِمًا اتِّجَاهَ الشَّمْسِ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ مِنَ النَّهَارِ ، وَبَدَأْتُ أَحْرُكُ التَّلْسُكُوبَ بِطَءٍ إِلَى أَعْلَى وَإِلَى أَسْفَلَ . وَأَخِيرًا جَذَبْتُ اتِّبَاقِي فَتَحَةً دَائِرِيَّةً فِي أَعْلَى شَجَرَةٍ كَبِيرَةٍ بَعِيدَةٍ ، وَفِي وَسْطِ تِلْكَ الْفَتْحَةِ رَأَيْتُ شَيْئًا يَمِيلُ إِلَى الْبَيَاضِ ، وَعِنْدَ مَا دَقَقْتُ النَّظَرَ أَدْرَكْتُ أَنَّ هَذَا الشَّيْءَ مَا هُوَ إِلَّا جُمُجْمَةٌ آدَمِيَّةٌ . »

« لَقَدْ اتَّضَحَ لِي كُلُّ شَيْءٍ . وَكَانَ عَلَيَّ آنَ ذَاكَ أَنَّ أَصِلَ إِلَى هَذِهِ الْجُمُجْمَةِ الَّتِي تُوجَدُ فِي الْفَرْعِ الرَّئِيسِيِّ لِلشَّجَرَةِ بِالطَّرْفِ السَّابِعِ إِلَى جِهَةِ الشَّرْقِ . وَعَلَيَّ أَنَّ اقْدِفَ أَوْ اسْقِطْ شَيْئًا مِنَ الْعَيْنِ الْيُسْرَى لِلْجُمُجْمَةِ إِلَى الْأَرْضِ ، ثُمَّ ارْسُمْ حَظًّا مِنَ الشَّجَرَةِ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ الشَّيْءُ الَّذِي اسْقَطْتُهُ ، ثُمَّ اتَّبِعْ بِهَذَا الْحَظِّ إِلَى الْخَارِجِ لِمَسَافَةِ خَمْسِينَ قَدَمًا أَوْ سِتَّةَ عَشَرَ مِثْرًا وَنِصْفَ الْمِثْرِ تَقْرِيْبًا . وَقُلْتُ فِي نَفْسِي إِنَّهُ مِنَ الْمُحْتَمَلِ أَنْ يَكُونَ الْكَثْرُ مَدْفُونًا تَحْتَ هَذِهِ النُّقْطَةِ . »

« فِي الْيَوْمِ الْتَالِي وَجَدْتُ الشَّجَرَةَ بِشَيْءٍ مِنَ الصُّعُوبَةِ ، ثُمَّ أُرْسِلْتُ إِلَيْكَ
وَأَنْتَ تَعْرِفُ بَاقِيَ الْمَغَامَرَةِ كَمَا أَعْرِفُهَا أَنَا . »

قُلْتُ : « أَعْتَقِدُ أَنَّ سَبَبَ الْخَطَا فِي مُحَاوَلَتِنَا الْأُولَى رَاجِعٌ إِلَى غِبَاءِ جُوبَيْتَرٍ
عِنْدَمَا جَعَلَ الْحَشْرَةَ تَسْقُطُ مِنَ الْعَيْنِ الْيُمْنَى بَدَلًا مِنَ الْعَيْنِ الْيُسْرَى . »

قَالَ : « بِالضَّبْطِ ! إِنَّ هَذَا الْخَطَا جَعَلْنَا نَحْفِرُ عَلَى بُعْدِ مِثْرَيْنِ تَقْرِيْبًا مِنْ
مَكَانٍ وَجُودِ الْكَثَرِ . »

قُلْتُ : « نَعَمْ ، أَنَا أَذْرِكُ ذَلِكَ ، وَآلَانَ هُنَاكَ شَيْءٌ وَاحِدٌ مَا زَالَ يُحَيِّرُنِي .
مَا هُوَ فِي رَأْيِكَ سَبَبُ وَجُودِ الْعِظَامِ فِي الْحُفْرَةِ ؟ »

أَجَابَ : « إِنِّي لَا أَجِدُ إِلَّا سَبَبًا وَاحِدًا لِذَلِكَ . وَمَعَ ذَلِكَ فَمِنْ الْعَسِيرِ أَنْ
نُصَدِّقَ الشَّخْصَ بِوُجُودِ مِثْلِ تِلْكَ الْقَسْوَةِ . لَا بُدَّ أَنْ كِيدَ اسْتَعَانَ بِآخَرِينَ
عِنْدَ إِخْفَائِهِ الْكَثَرِ . وَعِنْدَمَا فَرَّغُوا مِنَ الْعَمَلِيَّةِ لَا بُدَّ أَنَّهُ رَأَى مِنَ الْأَفْضَلِ إِلَّا
بُشَارِكُهُ فِي هَذَا السِّرِّ أَحَدٌ ، وَيَكْفِي لِحِفْظِ السِّرِّ أَنْ يُطْلَقَ طَلَقَتَيْنِ عَلَى الرَّجُلَيْنِ
وَهُمَا مِنْهُمَا كَانِ فِي عَمَلِهِمَا بِالْحُفْرَةِ . رَبَّمَا كَانَ الْأَمْرُ يَحْتَاجُ إِلَى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ
طَلَقَةً - مَنْ يَدْرِي ؟ »



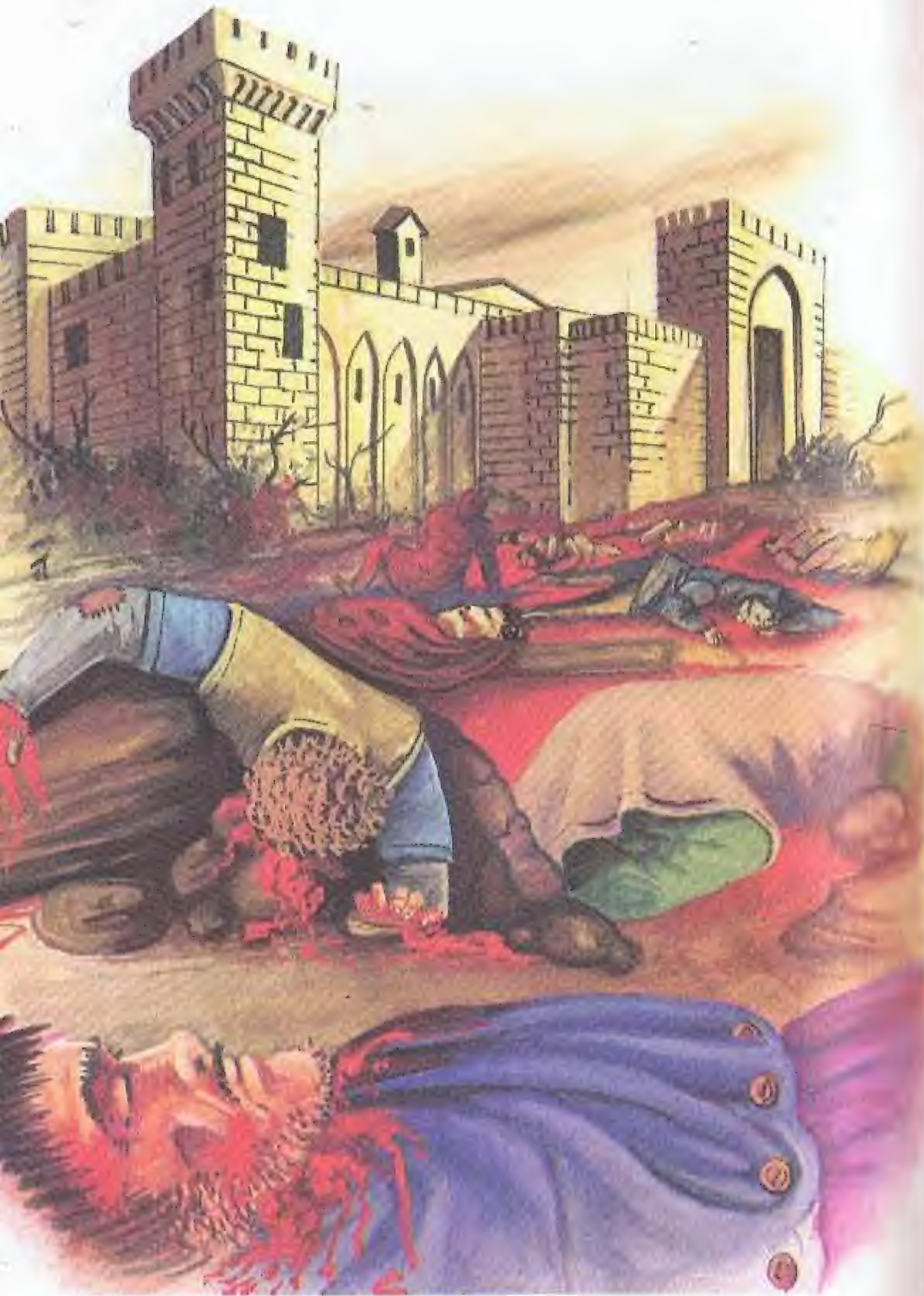
الْمَوْتُ الْأَحْمَرُ

قَتَلَ « الْمَوْتُ الْأَحْمَرُ » آلافَ الْأَشْخَاصِ ، وَلَمْ يَحْدُثْ قَطُّ أَنْ كَانَ لِمَرَضٍ مِثْلَ شَرَّاسِيَّتِهِ .

كَانَ الدَّمُ سِمَتَهُ الْمُمَيِّزَةَ . فَقَدْ كَانَ الْمُصَابُ يَشْعُرُ بِالْأَمِّ حَادَّةٍ ثُمَّ يُعَانِي مِنْ إَغْمَاءٍ مُفَاجِئَةٍ ، وَتَنْزِفِ الدَّمَاءِ مِنْ جِلْدِهِ ، وَسَرْعَانَ مَا يَلْفِظُ أَنْفَاسَهُ فِي أَقَلِّ مِنْ نِصْفِ السَّاعَةِ . وَكَانَتْ الْبُقْعُ الْحُمْرَاءُ الَّتِي تَنْتَشِرُ فِي جِسْمِ الْمَرِيضِ وَبِخَاصَّةٍ عَلَى وَجْهِهِ تَحُولُ دُونَ قِيَامِ الْآخَرِينَ بِنَجْدَتِهِ . وَعِنْدَمَا تَظْهَرُ تِلْكَ الْبُقْعُ عَلَى الْمَرِيضِ فَإِنَّ ذَلِكَ يُعْنِي ضِيَاعَ أَيِّ أَمَلٍ فِي شِفَائِهِ .

لَكِنَّ الْأَمِيرَ بَرُوسِيرو كَانَ سَعِيدًا وَشَجَاعًا وَحَكِيمًا . فَبَعْدَ أَنْ مَاتَ نِصْفُ شَعْبِهِ ، دَعَا أَلْفًا مِنَ اللَّوَرْدَاتِ وَكَرَائِمِ السَّيِّدَاتِ الَّذِينَ يَتَمَتَّعُونَ بِصِحَّةٍ جَيِّدَةٍ ، وَذَهَبَ مَعَهُمْ لِيَعِيشُوا جَمِيعًا فِي قَلْعَةٍ قَاصِيَةٍ . كَانَتْ مَبَانِي الْقَلْعَةِ الضَّخْمَةِ وَالْأَرْضِي الْفَسِيحَةُ الْمُحِيطَةُ بِهَا تَقَعُ وَرَاءَ جُذْرَانِ ضَخْمَةٍ عَالِيَةٍ ، وَكَانَتْ لِتِلْكَ الْجُذْرَانِ أَبْوَابٌ حَدِيدِيَّةٌ . وَبَعْدَ أَنْ دَخَلُوا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ قَامُوا بِصَهْرِ أَقْفَالِهَا حَتَّى يَتَأَكَّدُوا مِنْ أَنَّهَا لَنْ تُفْتَحَ ثَانِيَةً مَهْمَا كَانَ تَوَعُّ الْمَفَاتِيحِ الَّتِي تُسْتَحْدَمُ فِي فَتْحِهَا .

وَهَكَذَا لَمْ يَكُنْ فِي وَسْعِ أَحَدٍ أَنْ يَدْخُلَ إِلَى الْقَلْعَةِ أَوْ يَخْرُجَ مِنْهَا . وَكَانَ الْأَمِيرُ قَدْ أَمَدَّهَا بِالطَّعَامِ الْكَافِي حَتَّى يَظُلَّ هُوَ وَرِجَالُهُ اللَّوَرْدَاتُ هُنَاكَ بِمَأْمَنِ مِنَ الْمَرَضِ الْخَطِيرِ . وَلِيَهْتَمَّ كُلُّ مَنْ هُوَ خَارِجُ أَسْوَارِ الْقَلْعَةِ بِنَفْسِهِ ، أَمَّا



بِالنِّسْبَةِ لَهُ فَقَدْ كَانَ مِنَ الْحَمَاقَةِ أَنْ يَقْلَقَ أَوْ تُسَاوِرَهُ الْأَفْكَارُ وَالْهُمُومُ . وَكَانَ
الْأَمِيرُ قَدْ أَعَدَّ عُدَّتَهُ لِيَحْيَا حَيَاةَ مَلُوءِهَا اللَّذَّةَ وَالْبَهْجَةَ . فَقَدْ جَاءَ إِلَى الْقَلْعَةِ
بِالْمُمَثِّلِينَ وَعَازِفِي الْمَوْسِيقَى ، أَمَّا خَارِجُهَا فَقَدْ كَانَ هُنَاكَ « الْمَوْتُ
الْأَحْمَرُ » .

بَعْدَ أَنْ قَضَى رِجَالُ الْبَلَاطِ خَمْسَةَ أَشْهُرٍ أَوْ سِتَّةَ بِالْقَلْعَةِ ، وَكَانَ الْمَرَضُ
خَارِجَهَا قَدْ بَلَغَ ذُرْوَتَهُ ، دَعَا الْأَمِيرُ بَرُوسِپَرُو أَصْدِقَاءَهُ الْأَلْفَ إِلَى حَفْلِ رَاقِصٍ
كَبِيرٍ ، وَأَعِدَّتِ التَّرْتِيبَاتُ لِكَيْ يَكُونَ هَذَا الْحَفْلُ أَرْوَعَ أَحْتِفَالَاتِ الْعَامِ ،
وَأَنْ يَقُومَ الْمُشْتَرِكُونَ فِي الرَّقْصِ بِإِرْتِدَاءِ الْأَقْنَعَةِ . وَقَدْ أُعِدَّتْ سَبْعُ غُرُفٍ مِنْ
أَجْمَلِ غُرُفِ الْقَلْعَةِ إِعْدَادًا خَاصًّا لِهَذِهِ الْمُنَاسَبَةِ . وَكَانَتْ تِلْكَ الْغُرُفُ ذَاتُ
شَكْلِ غَيْرِ مُنْتَظِمٍ عِنْدَ أَحَدِ أَرْكَانِ الْمَبْنَى ، بِحَيْثُ تَكُونُ هُنَاكَ زَاوِيَةٌ حَادَّةٌ بَيْنَ
كُلِّ غُرْفَةٍ وَالْغُرْفَةِ الْمُجَاوِرَةِ لَهَا ، مِمَّا يَجْعَلُ مِنْ غَيْرِ الْمُمْكِنِ أَنْ يَرَى
الشَّخْصُ أَكْثَرَ مِنْ غُرْفَةٍ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ . وَكَانَ طِلَاءُ كُلِّ غُرْفَةٍ وَأَثَانُهَا
وَزَخَارِفُهَا تُخْتَلِفُ عَنِ الْغُرُفِ الْأُخْرَى ، وَكَانَتْ التَّوَافِذُ مِنَ الزُّجَاجِ الْمَلُونِ
الَّذِي يُوَافِقُ لَوْنِ الْغُرْفَةِ . وَهَكَذَا كَانَتْ الْغُرْفَةُ الشَّرْقِيَّةُ ذَاتَ لَوْنٍ أَزْرَقٍ ،
وَكَانَ لَوْنُ نَوَافِذِهَا أَزْرَقَ لَامِعًا . أَمَّا الْغُرْفَةُ الثَّانِيَّةُ فَكَانَ لَوْنُهَا أَرْجَوَانِيًّا ،
وَكَذَا كَانَ لَوْنُ زُجَاجِ نَوَافِذِهَا . وَكَانَتْ الْغُرْفَةُ الثَّلَاثَةُ خَضِرَاءَ اللَّوْنِ ،
وَالرَّابِعَةُ صَفْرَاءَ ، وَالْخَامِسَةُ بُرْتَقَالِيَّةَ اللَّوْنِ ، وَالسَّادِسَةُ بَيْضَاءَ . أَمَّا الْغُرْفَةُ
السَّابِعَةُ فَكَانَتْ سَوْدَاءَ اللَّوْنِ . وَلَكِنْ نَوَافِذُهَا كَانَتْ مِنْ لَوْنٍ مُخْتَلِفٍ . لَقَدْ
كَانَتْ التَّوَافِذُ الْوَحِيدَةُ الَّتِي لَا يُوَافِقُ لَوْنُهَا لَوْنُ الْغُرْفَةِ ، فَقَدْ كَانَ لَوْنُ الزُّجَاجِ
هُنَاكَ أَحْمَرَ ... كَانَ مِنْ ذَلِكَ اللَّوْنِ الْأَحْمَرِ الْقَانِي الَّذِي هُوَ فِي حُمْرَةِ الدَّمِ .

لَمْ تَكُنْ ثَمَّةَ أَضْوَاءٍ أَوْ مَصَابِيحُ بَائِي مِنْ هَذِهِ الْغُرْفِ ، لَكِنْ أُوقِدَتْ النَّيِّرَانُ
خَارِجَ التَّوَافِذِ الزُّجَاجِيَّةِ ، مِمَّا جَعَلَ أَشِعَّتَهَا تَخْتَرِقُ الزُّجَاجَ الْمَلُونِ إِلَى دَاخِلِ
الْغُرْفَةِ مُحْدِثَةً أَشْكَالًا وَخَيَالَاتٍ غَرِيبَةً . أَمَّا فِي الْغُرْفَةِ السَّوْدَاءِ فَإِنَّ تَأْثِيرَ
الْأَضْوَاءِ الْمُنبَعِثَةِ مِنَ النَّيِّرَانِ الْخَارِجِيَّةِ وَالَّتِي تَلْمَعُ عَلَى الزُّجَاجِ الْأَحْمَرِ كَانَ
مُرْعَبًا لِلْغَايَةِ . وَلِهَذَا فَإِنَّ الْقَلِيلِينَ مِنَ الْمُحْتَفِلِينَ هُمُ الَّذِينَ كَانَ لَهُمْ مِنَ الْجُرْأَةِ
مَا يَجْعَلُهُمْ قَادِرِينَ عَلَى دُخُولِ تِلْكَ الْغُرْفَةِ .

كَانَ يَتِلَّكَ الْغُرْفَةِ السَّوْدَاءِ إِلَى جِوَارِ الْحَائِطِ الْعَرَبِيِّ ، سَاعَةً ضَحْمَةً مِنَ
الْحَشَبِ الْأَسْوَدِ . وَكُلَّمَا حَانَ الْوَقْتُ الَّذِي تُدْقُ فِيهِ تِلْكَ السَّاعَةُ كَانَتْ
تُصْدِرُ صَوْتًا مُوسِيقِيًّا وَاضِحًا عَالِيًّا وَغَمِيقًا ، وَلَكِنَّهُ كَانَ مِنَ الْعَرَايَةِ بِدَرَجَةٍ
تُجْعَلُ الْمَوْسِيقِيَّيْنَ يَتَوَقَّفُونَ عَنِ الْعَزْفِ كَيْ يَنْصِتُوا إِلَيْهِ . وَهَكَذَا كَانَ الرَّقْصُ
يَتَوَقَّفُ وَيَحْدُثُ شَيْءٌ مِنَ الْهَرْجِ وَالْإِرْتِبَاكِ فِي صُفُوفِ تِلْكَ الْجَمَاعَةِ
الْمَرِحَةِ . ثُمَّ إِذَا مَا دَقَّتِ السَّاعَةُ دَقَّتْهَا الْأَخِيرَةُ سَرَّتْ ضَحْكَةً خَفِيفَةً بَيْنَ
الْمُحْتَفِلِينَ ، وَنَظَرَ الْمَوْسِيقِيُّونَ بَعْضُهُمْ إِلَى الْبَعْضِ وَتَبَسَّمُوا وَكَانُوا
يَسْخَرُونَ مِنْ حَمَاقَتِهِمْ ، وَيَقُولُونَ إِنَّهُمْ لَنْ يَسْمَحُوا بَعْدَ ذَلِكَ لِدَقَّاتِ السَّاعَةِ
أَنْ تَتَدَخَّلَ وَتُوقِفَ عَزْفَهُمْ فِي السَّاعَةِ الثَّالِيَةِ . وَلَكِنْ يَحْدُثُ بَعْدَ سَاعَةٍ أَنْ
يَتَوَقَّفُوا مَرَّةً أُخْرَى ، وَأَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الْهَرْجُ وَالْإِرْتِبَاكِ الَّذِي حَدَثَ مِنْ
قَبْلُ .

عَلَى الرَّغْمِ مِنْ هَذَا كَانَ حَفْلًا مَرِحًا . وَكَانَتْ مَلَائِسُ السَّيِّدَاتِ تُتَسِّمُ
بِالْجَمَالِ وَالِابْتِكَارِ ، وَمَلَائِسُ الرِّجَالِ بِالْأَلْوَانِ الزَّاهِيَةِ وَالْخَيَالِ الْجَامِحِ . فَقَدْ

كَانَ مَظْهَرُ بَعْضِ الرِّجَالِ يَبْدُو مُرْعَبًا ، وَمَظْهَرُ عَدَدٍ قَلِيلٍ مِنْهُمْ مُشِيرًا لِلْأَشْمِزَارِ .
وَهَكَذَا كَانَ الرَّاqِصُونَ وَالرَّاqِصَاتُ يَجُولُونَ هُنَا وَهُنَاكَ فِي الْغُرَفِ السَّبْعِ وَكَأَنَّهُمْ
أَشْبَاحٌ فِي حُلْمٍ . وَكَانَتْ حَرَكَاتُهُمْ مُتَنَاعِمَةً مَعَ الْمَوْسِيقَى كَمَا كَانَتْ أَلْوَانُهُمْ
تَتَغَيَّرُ مِنْ غُرْفَةٍ إِلَى غُرْفَةٍ . وَكَانَ مِنَ الْمَلَاqِظِ أَنَّهُ لَمْ يَقْتَرِبْ مِنَ الْغُرْفَةِ السَّابِعَةِ
— فِي الْجُزْءِ الْآخِرِ مِنَ اللَّيْلِ — إِلَّا عَدَدٌ قَلِيلٌ مِنَ الْمُحْتَفِلِينَ . وَأَخَذَ هَذَا الْعَدَدُ
يَتَنَاقَصُ تَدْرِيجًا خَوْفًا مِنْ ذَلِكَ اللَّوْنِ الْأَسْوَدِ الَّذِي كَانَتْ تُضِيئُهُ أَشِعَّةٌ qَمْرَاءُ
فِي لَوْنِ الدَّمِ الْقَانِي .

أَخِيرًا بَدَأَتِ السَّاعَةُ الصَّخْمَةُ الْمَوْجُودَةُ فِي تِلْكَ الْغُرْفَةِ تَدُقُّ مُعَلَّنَةً مُتَنَصِّفَ
الَّيْلِ ، فَتَوَقَّفَ الرَّاqِصُ كَمَا سَبَقَ أَنْ ذَكَرْتُ وَوَقَّفَ الرَّاqِصُونَ فِي أَمَاكِنِهِمْ مِنْ
دُونِ حَرَكَاتٍ ، وَسَادَ الْجَمِيعُ شُعُورَ بَعْدَمِ الْآرْتِيَاqِ . وَقَبْلَ الدَّقَّةِ الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ
كَانَ عَدَدٌ مِنَ الرَّاqِصِينَ الْبَاقِظِينَ قَدْ لَاحَظُوا وُجُودَ شَخْصٍ مُلْتَمِمْ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ
قَدْ رَأَاهُ مِنْ قَبْلُ . وَأَحْدَثَ ظَهُورُهُ هَمَسَاتٍ تَنَمُّ عَنِ الدَّهْشَةِ وَالْكَرَاهِيَةِ فِي أَوَّلِ
الْأَمْرِ ، ثُمَّ مَا لَيْثَ هَذِهِ الْهَمَسَاتُ أَنْ تَحَوَّلَتْ إِلَى صِيحَاتٍ مِنَ الْخَوْفِ
وَالْأَشْمِزَارِ .

كَانَ ذَلِكَ الْمَلْتَمِمْ طَوِيلًا نَحِيفًا يَرْتَدِي كَفَتًا يُعْطِيهِ مِنْ قِمَّةِ رَأْسِهِ إِلَى أُخْمَصِ
قَدَمَيْهِ ، أَمَّا الْقِنَاعُ الَّذِي كَانَ يُعْطَى وَجْهَهُ فَقَدْ صُنِعَ بِحَيْثُ يَبْدُو وَكَأَنَّهُ وَجْهُ
مَيِّتٍ .. وَكَانَ الْقِنَاعُ مِنْ دِقَّةِ الصَّنْعِ بِحَيْثُ لَا يُمَكِّنُ التَّفَرُّقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْوَجْهِ
الْحَقِيقِيِّ لِشَخْصٍ مُتَوَفَّى . وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ هَذَا لَمْ يَكُنِ السَّبَبَ الْحَقِيقِيَّ
لَاغْتِرَاضِ الْمُحْتَفِلِينَ . إِنَّ سَبَبَ كَرَاهِيَتِهِمْ وَأَشْمِزَارِهِمْ هُوَ أَنَّ هَذَا الشَّخْصَ
الْغَرِيبَ قَدْ قُلِدَ الْمَوْتُ الْأَحْمَرُ تَقْلِيدًا كَامِلًا — فَقَدْ كَانَ رِدَاؤُهُ مُلَطَّحًا



بِالدَّمَاءِ ، وَكَانَ عَلَى وَجْهِهِ كُلُّهُ نِقَاطُ الْمَوْتِ الْحَمْرَاءِ .

عِنْدَمَا وَقَعَتْ عَيْنَا الْأَمِيرِ بَرُوسِيسُورُ عَلَى ذَلِكَ الشَّخْصِ الْمُخِيفِ الَّذِي كَانَ
يَسِيرُ بِخُطُواتٍ بَطِئَةٍ مَهِيبةٍ هُنَا وَهُنَاكَ بَيْنَ الرَّاqِصِينَ أَسْتَشْاطَ غَضَبًا ، وَصَاحَ
فِي التَّبَلَاءِ الْوَاقِفِينَ بِالْقُرْبِ مِنْهُ قَائِلًا : « مَنْ هُوَ ذَلِكَ الَّذِي يَجْرُؤُ عَلَى إِهَانَتِنَا
عَلَى هَذَا النَّحْوِ ؟ أُمْسِكُوا بِهِ وَمَزَقُوا الْقِنَاعَ لِتَرَى ذَلِكَ الشَّخْصَ الَّذِي سَوْفَ
نُعْدِمُهُ شَنْقًا عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ . »

كَانَ الْأَمِيرُ وَاقِفًا فِي الْغُرْفَةِ الشَّرْقِيَّةِ الزَّرْقَاءِ ، وَكَانَ حَوْلَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ
أَصْدِقَائِهِ . وَبَدَأَتْ تِلْكَ الْجَمَاعَةُ تَتَجَهُّ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ نَحْوَ ذَلِكَ الشَّخْصِ
الْغَرِيبِ الَّذِي كَانَ عَلَى مَقَرَبَةٍ مِنْهُمْ فِي تِلْكَ الْأَثْنَاءِ . وَلَكِنْ لَمْ يَرِغَبْ أَحَدٌ مِنْهُمْ

فِي أَنْ يَمُدَّ يَدَهُ لِيُشْسِكَ بِهِ . وَهَكَذَا سَارَ أَمَامَ الْأَمِيرِ مِنْ دُونِ أَنْ يَعْتَرِضَهُ أَحَدٌ ، وَاتَّجَهَ مِنَ الْغُرْفَةِ الزَّرْقَاءِ إِلَى الْأَرْجَوَانِيَّةِ ، وَمِنْهَا إِلَى الْحَضْرَاءِ ثُمَّ الْغُرْفَةُ الْصَفْرَاءِ فَالْبُرْتُقَالِيَّةِ فَالْبَيْضَاءِ مِنْ دُونِ أَنْ يَتَحَرَّكَ أَحَدٌ لِإِقْفَائِهِ . جُنَّ جُنُونَ الْأَمِيرِ بَرُوسِيَرُو وَشَعَرَ بِالْحَجَلِ لِإِحْسَاسِهِ بِأَنَّهُ قَدْ جَبُنَ عَنْ مُوَاجَهَتِهِ ، فَانْدَفَعَ مُسْرِعًا عَبْرَ الْعُرْفِ السَّتِّ وَامْتَشَقَ سَيْفَهُ أَثْنَاءَ انْدِفَاعِهِ ، وَكَانَ الشَّخْصُ قَدْ وَصَلَ آنَذَاكَ إِلَى الْحَائِطِ الْعَرَبِيِّ لِلْغُرْفَةِ السَّابِعَةِ - الْغُرْفَةِ السَّودَاءِ - عِنْدَمَا اسْتَدَارَ فَجَاءَهُ لِمُوَاجَهَةِ الْأَمِيرِ . أُعْقِبَتْ ذَلِكَ صَيْحَةً عَالِيَةً وَسَقَطَ سَيْفُ الْأَمِيرِ عَلَى الْأَرْضِ . وَبَعْدَ لَحْظَاتٍ سَقَطَ الْأَمِيرُ بَرُوسِيَرُو مَيِّتًا بِجَوَارِ سَيْفِهِ .

وَعِنْدَئِذٍ انْدَفَعَ بَعْضُ النَّبَلَاءِ - وَقَدْ أَذَكَّتْ حِمِيَّتُهُمْ شَجَاعَةً يَائِسَةً - وَالْقُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَلَى الشَّخْصِ الْعَرَبِ الَّذِي وَقَفَ سَاكِئًا صَامِتًا فِي ظِلِّ السَّاعَةِ الصُّخْمَةِ السَّودَاءِ ، وَأَخَذُوا يُمَزَّقُونَ قِنَاعَ الْمَوْتِ وَالرَّدَاءَ الْمُلَطَّخَ بِالْدَّمَاءِ ، وَلَكِنَّهُمْ تَرَجَّعُوا وَهُمْ يَرْتَعِدُونَ مِنَ الْخَوْفِ . إِنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا جَسَدًا آدَمِيًّا دَاخِلَ الرَّدَاءِ وَالْقِنَاعِ - بَلْ كَانَ الْقِنَاعُ وَالرَّدَاءُ فَارِغَيْنِ .

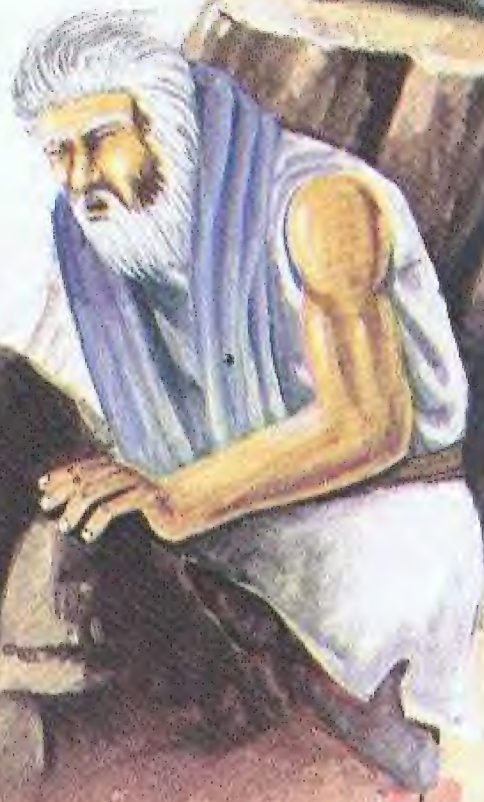
وَقَدْ عَرَفُوا الْآنَ أَنَّ الزَّائِرَ هُوَ الْمَوْتُ الْأَحْمَرُ . لَقَدْ جَاءَ كَاللَّصِّ فِي ظُلْمَةِ الْمَسَاءِ . وَبَدَأَ الرَّاغِبُونَ يَتَسَاقَطُونَ الْوَاحِدُ تِلْوَ الْآخَرِ وَمَاتُوا جَمِيعًا فِي غُرْفَةِ اللَّذَّةِ تِلْكَ . وَدَقَّتِ السَّاعَةُ السَّودَاءُ دَقَّةً وَاحِدَةً ثُمَّ تَوَقَّفَتْ ، وَخَبَّتِ السِّينَةُ الَّلَّهَبُ فِي الْخَارِجِ ، وَسَادَ الظَّلَامُ وَالتَّعَفُّنُ وَالْمَوْتُ الْأَحْمَرُ كُلُّ شَيْءٍ .

الدَّوَامَةُ

وَصَلْنَا إِلَى قِمَّةِ أَعْلَى صَخْرَةٍ ، وَوَقَفْنَا نَنْظُرُ إِلَى الْأَمْوَاجِ الصَّاخِبَةِ
الْمُتَلَاطِمَةِ تَحْتَنَا ، وَكُنَّا عَلَى ارْتِفَاعٍ مَا يَقْرُبُ مِنْ مِائَتَيْ مِثْرٍ ، فَوْقَ صُخُورِ
جُزُرٍ لَوْفُوتٍ بِالنُّرُوجِ . وَكَانَ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ يَلْهَثُ لِمَا بَدَلَ مِنْ جَهْدٍ ، وَظَلَّ
صَامِتًا عِدَّةَ دَقَائِقٍ .

وَأخِيرًا قَالَ : « مُنْذُ زَمَنٍ لَيْسَ بِالْبَعِيدِ ، كَانَ فِي وَسْعِي أَنْ أَقُودَكَ إِلَى هَذَا
الْمَكَانِ ، مِنْ دُونِ أَنْ أَشْعُرَ بِتَعَبٍ ، وَكَأَنِّي فِي خِفَةِ أَصْغَرِ أَبْنَائِي . وَلَكِنْ لَيْسَ
ذَلِكَ هُوَ حَالِي الْآنَ . إِنِّي أَشْعُرُ بِأَنِّي مُحِطَّمٌ جَسَدِيًّا وَمَعْنَوِيًّا ، فَقَدْ مَرَرْتُ
مُنْذُ ثَلَاثِ سِنَوَاتٍ بِتَجْرِبَةٍ مُفْزِعَةٍ لَمْ يَمُرْ بِهَا أَحَدٌ غَيْرِي ، وَكُنْتُ لِي الْحَيَاةُ
كَيْ أُرْوِيهَا لِلنَّاسِ . لَقَدْ عَانَيْتُ - لِمُدَّةٍ سِتِّ سَاعَاتٍ طَوَالَ - مِنْ أَسْوَأِ أَنْوَاعِ
الْخَوْفِ الَّذِي يُمَكِّنُ تَحْيِلُهُ . وَخِلَالَ تِلْكَ السَّاعَاتِ أَلَسْتُ أَصْبَحْتُ رَجُلًا
عَجُوزًا ، وَابْيَضَّ شَعْرُ رَأْسِي ، وَوَهَنْتُ أَوْصَالِي ، وَفَارَقْتَنِي شَجَاعَتِي . وَقَدْ
جِئْتُ بِكَ إِلَى هُنَا كَيْ تُشَاهِدَ بَعَيْنَيْكَ مَسْرَحَ الْأَمِي ، وَتَسْمَعَ الْقِصَّةَ كَامِلَةً :
« نَحْنُ الْآنَ قَرِيبُونَ كُلُّ الْقُرْبِ مِنْ سَاحِلِ النُّرُوجِ ، وَيُطْلَقُ عَلَى هَذِهِ
الصَّخْرَةِ الَّتِي نَقِفُ عَلَيْهَا اسْمُ هَلْسَيْنِ ، أَيْ الْغَائِمَةُ . اجْلِسْ الْآنَ وَانْظُرْ إِلَى
الْبَحْرِ . »

كَانَ تَحْتَنَا امْتِدَادٌ وَاسِعٌ دَاكِنٌ لِلْمُحِيطِ ، وَيَكَادُ أَنْ يَكُونَ أَسْوَدَ اللَّوْنِ .
وَعَلَى مَرْمَى النَّظَرِ إِلَى الْيَسَارِ وَالْيَمِينِ عِنْدَ الْبِقَاءِ تِلْكَ الصُّخُورُ بِالْبَحْرِ ، وَفِي



عُرِضَ الْبَحْرُ كُنْتُ أَرَى جَزِيرَتَيْنِ ، إِحْدَاهُمَا صَغِيرَةٌ قَاحِلَةٌ عَلَى بُعْدِ تِسْعَةِ كِيلُو
مِثْرَاتٍ ؛ وَالْأُخْرَى أَصْغَرُ مِنْهَا تُحِيطُ بِهَا صُخُورٌ دَاكِئَةُ اللَّوْنِ عَلَى بُعْدِ مَا
يَقْرُبُ مِنْ خُمْسَةِ كِيلُو مِثْرَاتٍ مِنَ الشَّاطِئِ . وَكَانَ هُنَاكَ شَيْءٌ غَيْرٌ عَادِيٍّ فِي
صَفْحَةِ الْمَاءِ الْوَاقِعِ بَيْنَ الْجَزِيرَةِ الْبَعِيدَةِ وَالشَّاطِئِ ، فَقَدْ كَانَتْ الْمَيَاهُ السَّرِيعَةُ
الصَّاحِبَةُ تَتَقَاطَعُ فِي أَتْجَاهَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ مَعَ اتِّجَاهِ الرِّيحِ وَضِدِّهَا .

قَالَ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ : « إِنَّ الْجَزِيرَةَ الْبَعِيدَةَ هِيَ جَزِيرَةُ قُورُغْ ، أَمَّا هَذِهِ
الْقَرِيبَةُ فَهِيَ جَزِيرَةُ مُوسْكَو . هَلْ تَسْمَعُ شَيْئًا ؟ هَلْ تَرَى أَيْ تَغْيِيرَ فِي الْمَاءِ ؟ »

لَا حَظُّهُ أَثْنَاءَ كَلَامِ الرَّجُلِ الْعَجُوزِ صَوْتًا مُرْتَفِعًا يَزْدَادُ ارْتِفَاعُهُ تَدْرِيجِيًّا
وَكَأَنَّهُ صَوْتُ مِئَةٍ مِنْ طَوَاحِينِ الْهَوَاءِ ، وَفِي نَفْسِ الْوَقْتِ رَأَيْتُ أَنَّ تَحَرُّكَاتِ
الْبَحْرِ تَحْتَنًا قَدْ بَدَأَتْ تَتَغَيَّرُ لِتَتَّخِذَ شَكْلَ تِيَّارٍ يَتَّجِهُ نَاحِيَةَ الشَّرْقِ . وَلَا حَظُّهُ
وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى هَذَا التِّيَّارِ أَنَّ سُرْعَتَهُ تَزْدَادُ بِصُورَةٍ لَا تُصَدِّقُ . وَفِي مَدَى خَمْسِ
دَقَائِقَ أَصْبَحَ الْبَحْرُ كُلُّهُ حَتَّى جَزِيرَةَ قُورُغْ فِي حَالَةٍ غَلِيَانٍ صَاحِبٍ عَنيفٍ ،
وَلَكِنْ أَغْنَفَ جُزْءٌ فِي هَذَا الصُّحْبِ كَانَ فِي الْمِنْطَقَةِ الْوَاقِعَةِ بَيْنَ جَزِيرَةِ مُوسْكَو
وَالشَّاطِئِ . فَفِي هَذِهِ الْمِنْطَقَةِ كَانَتْ الْأَمْوَاجُ الثَّائِرَةُ تَرْتَفِعُ وَتَتَسَابَقُ وَتَزَارُّ
وَتَدُورُ فِي آلَافٍ مِنَ الدَّوَائِرِ ، وَكَانَتْ كُلُّ بِلَكِ الدَّوَائِرِ أَوْ الدَّوَامَاتِ تَنْدَفِعُ
بِسُرْعَةٍ مُخِيفَةٍ نَحْوَ الشَّرْقِ .

لَكِنَّ الْمَنْظَرَ تَغْيِيرٌ مَرَّةً أُخْرَى بَعْدَ بَضْعِ دَقَائِقَ . فَقَدْ بَدَأَ سَطْحُ الْمَاءِ يَهْدَأُ ،
وَأَنْدَمَجَتِ الدَّوَامَاتُ الصَّغِيرَةُ الَّتِي كَانَتْ مُنْتَشِرَةً إِلَى مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ ، وَتَنَجَّ عَنْ
اِنْدِمَاجِهَا ظُهُورُ دَوَامَةٍ وَاحِدَةٍ - وَفَجْأَةً رَأَيْتُ هَذِهِ الدَّوَامَةَ الصَّخْصَمَةَ وَقَدْ

أَصْبَحَتْ دَائِرَةً كَبِيرَةً يَزِيدُ قُطْرُهَا عَلَى كِيلُو مِثْرٍ . وَكَانَ يُمَثِّلُ حَافَةَ هَذِهِ الدَّوَامَةِ
إِطَارٌ عَرِيضٌ مِنَ الْمَيَاهِ الْبَيْضَاءِ . أَمَّا الدَّوَامَةُ نَفْسُهَا فَكَانَتْ ، إِلَى أَقْصَى مَرَمَى
النَّظَرِ ، عِبَارَةً عَنْ حَائِطٍ مِنَ الْمَاءِ الْأَمْلَسِ اللَّامِعِ ، الْأَسْوَدِ كَالْحَبْرِ ؛ وَكَانَ
أَنْحَادُ ذَلِكَ الْحَائِطِ الْمَائِيِّ بِزَاوِيَةٍ قَدَرُهَا خَمْسٌ وَأَرْبَعُونَ دَرَجَةً . وَكَانَ يَدُورُ
وَيَدُورُ مُرْسِلًا صَوْتًا مُخِيفًا تَنْشُرُهُ الرِّيحُ فَتَحْسِبُهُ بَيْنَ الصَّيَاحِ وَالزَّرِيرِ لَا مِثِيلَ
لَهُ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ .

زَلَزَلَتِ الصَّخْرَةُ الَّتِي كُنَّا جَالِسِينَ عَلَيْهَا زِلْزَالًا عَنيفًا ، فَانْبَطَحْتُ عَلَى
الْأَرْضِ وَأَمْسَكْتُ الصَّخْرَةَ بِكُلِّ قَوَايِ .

قُلْتُ لِلرَّجُلِ الْعَجُوزِ : « هَذِهِ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ إِلَّا دَوَامَةً أَلْمَالِيسْتَرُومِ
الْهَائِلَةِ . »

قَالَ : « هُكَذَا تُسَمَّى فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ ، وَلَكِنَّا نُسَمِّيهَا الْمَوْسْكَوَسْتَرُومِ
نِسْبَةً إِلَى جَزِيرَةِ مُوسْكَو . »

إِنَّ مَا قَرَأْتُهُ مِنْ وَصْفٍ عَادِيٍّ لِهَذِهِ الدَّوَامَةِ لَمْ يَهَيِّئْ لِي مَا رَأَيْتُ . ذَلِكَ أَنَّ
الْوَصْفَ الَّذِي قَدَّمَهُ جُونَاَسُ رَامُوسُ - وَقَدْ يَكُونُ أَحْسَنَ وَصْفٍ ظَهَرَ لِهَذِهِ
الظَّاهِرَةِ - هُوَ فِي الْوَاقِعِ أَبْعَدُ مَا يَكُونُ عَنِ الْحَقِيقَةِ . رُبَّمَا يَرْجِعُ ذَلِكَ إِلَى أَنَّهُ
لَمْ يُشَاهِدْهَا مِنْ قِمَّةِ هِلْسِينِ . وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ بَعْضَ التَّفْصِيلَاتِ الَّتِي قَدَّمَهَا
رَامُوسُ لَهَا أَهْمِيَّتُهَا ، إِلَّا أَنَّهُ لَا تُعْطِي فِكْرَةً حَقِيقِيَّةً عَنْ هَذِهِ الْأَعْجُوبَةِ .

قَالَ فِي وَصْفِهِ : « عِنْدَمَا يَأْتِي الْمَدُّ يُسْرِعُ التِّيَّارُ عَلَى طُولِ الشَّاطِئِ مِنْ جُزُرِ

لُوفُوتِنَ إِلَى جَزِيرَةِ مُوسْكُو . وَعِنْدَمَا يَنْحَسِرُ يُحْدِثُ زَلْزَلًا لَا يُدَانِيهِ الضَّجِيجُ
الَّذِي يُحْدِثُهُ أَغْنَفُ شَلَالٍ هَادِرٍ ، إِذْ يُسْمَعُ هَذَا الصَّوْتُ عَلَى بُعْدِ عِدَّةِ كِيلُو
مِثْرَاتٍ . وَتَحْدُثُ دَوَامَةٌ ذَاتُ اتِّسَاعٍ وَعُمُقٍ كَبِيرَيْنِ ، حَتَّى إِنَّهُ إِذَا اقْتَرَبَتْ
مِنْهَا سَفِينَةٌ كَبِيرَةٌ فَإِنَّهَا تَجْدِبُهَا إِلَى مُحِيطِهَا الدَّوَارِ ثُمَّ تَنْزِلُهَا إِلَى قَاعِ الْبَحْرِ ،
وَهُنَاكَ تَرْتَبِطُ بِالصُّخُورِ فَتَنْتَحِطُّ . وَعِنْدَمَا يَعُودُ الْمَدُّ يَطْفُو حُطَامُ السَّفِينَةِ
عَلَى سَطْحِ الْمَاءِ . وَالْفَتْرَةُ الَّتِي يُصْبِحُ فِيهَا الْبَحْرُ هَادِئًا بَيْنَ الْمَدِّ وَالْجُزْرِ لَا تَزِيدُ
عَنْ رُبْعِ سَاعَةٍ يَبْدَأُ بَعْدَهَا الْهَيْجَانُ مِنْ جَدِيدٍ بِالتَّدرِجِ .

إِنَّ هَذِهِ الْمُحَاوَلَةَ الَّتِي قَامَ بِهَا جُوناسَ رَامُوسَ لَوْصِفِ الدَّوَامَةَ عَلَى أَنَّهَا
نَتِيجَةُ لِلْمَدِّ وَالْجُزْرِ مُحَاوَلَةٌ كَانَتْ تَبْدُو مَعْقُولَةً لِي عِنْدَمَا قَرَأْتُهَا مِنْذُ عِدَّةِ
سِنِينَ . وَلَكِنَّهَا تَبْدُو لِي الْآنَ - وَزَيْرُ الدَّوَامَةِ يُصِمْ أُذُنِي - مُحَاوَلَةً غَيْرَ
مُقْنِعَةٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ . وَعِنْدَمَا نَظَرْتُ إِلَى الْبَحْرِ بَدَأَ ذِهْنِي يَقْبَلُ ذَلِكَ التَّفْسِيرَ
الَّذِي قَالَ بِهِ كَيْرْتِشَرُ وَآخَرُونَ وَالَّذِي يَدَّعُونَ فِيهِ بُوجُودَ ثَقْبٍ أَوْ شَرِّحٍ فِي
قَاعِ الْبَحْرِ ، وَأَنَّ هَذَا الثَّقْبَ أَوْ الشَّرِّحَ يَمْتَدُّ دَاخِلَ الْكُرَةِ الْأَرْضِيَّةِ كُلِّهَا
لِيَخْرُجَ مِنَ الطَّرَفِ الْآخَرِ فِي أَحَدِ الْمُحِيطَاتِ الْبَعِيدَةِ . لَقَدْ ذَكَرْتُ هَذِهِ
الْفِكْرَةَ لِذِلِيلِي الْعُجُوزِ وَاعْتَبَرْتُهَا نَوْعًا مِنَ الْمُزَاجِ ، وَلَكِنِّي دَهَشْتُ عِنْدَمَا
سَمِعْتُهُ يَقُولُ إِنَّ مُعْظَمَ النَّاسِ يُؤْمِنُونَ بِهَذَا الرَّأْيِ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ لَا يُوَافِقُ
عَلَيْهِ .

قَالَ لِي : « لَقَدْ رَأَيْتُ الدَّوَامَةَ الْآنَ وَأَخَذْتُ فِكْرَةً جَيِّدَةً عَنْهَا . وَإِذَا
زَحَفَتْ حَوْلَ هَذِهِ الصُّخْرَةِ وَابْتَعَدَتْ بَعْضُ الشَّيْءِ عَنِ الصَّوْتِ فَسَوْفَ أَقْصُ

عَلَيْكَ قِصَّةَ ثُرْيَاكَ أَنِّي أَعْرِفُ شَيْئًا عَنِ الْمَوْسُكُوسْتَرُومِ . »

فَانْتَقَلْنَا إِلَى الْجُزْءِ الْخَلْفِيِّ مِنَ الصُّخْرَةِ ، وَوَصَلَّ حَدِيثُهُ قَائِلًا : « كُنَّا
لِخَمْسَةِ الثَّلَاثَةِ - أَخَوَايَ الْاِثْنَانِ وَأَنَا - نَمْتَلِكُ مَرْكَبًا شِرَاعِيًّا حُمُولَتُهُ حَوَالِي
سَبْعِينَ طُنًا ، وَقَدْ اعْتَدْنَا أَنْ نَزَاوِلَ الصَّيْدَ فِي الْمِنْطَقَةِ الْوَاقِعَةِ وَرَاءَ جَزِيرَةِ
مُوسْكُو وَنَصِلَ فِي عَمَلِنَا إِلَى مَا يَقْرُبُ مِنْ جَزِيرَةِ قُوزُغِ .

« كَانَ فِي تِلْكَ الْمِنْطَقَةِ سَمَكٌ وَفِيرٌ لِأَنَّ الْمَنَاطِقَ الَّتِي يَزْدَادُ فِيهَا غُنْفُ
الْتِّيَارَاتِ الْبَحْرِيَّةِ تَكُونُ زَاخِرَةً بِالسَّمَكِ وَلَا تَحْتَاجُ إِلَّا إِلَى شَيْءٍ مِنَ
الشَّجَاعَةِ . وَكُنَّا لِخَمْسَةِ الثَّلَاثَةِ الْوَاحِدِينَ مِنْ بَيْنِ كُلِّ صَيَّادِي لُوفُوتِنَ الَّذِينَ
اعْتَدْنَا أَنْ نَذْهَبَ بِانْتِظَامٍ إِلَى تِلْكَ الْمِنْطَقَةِ كَمَا قُلْتُ لَكَ . أَمَّا الْبَاقُونَ فَكَانُوا
يَذْهَبُونَ إِلَى مَنَاطِقِ الصَّيْدِ الْمُعْتَادَةِ الَّتِي تَقَعُ بَعِيدًا إِلَى الْجَنُوبِ . وَكُنَّا نَخَاطِرُ
بِالذَّهَابِ إِلَى مَنَاطِقِ الدَّوَامَةِ لِأَنَّ السَّمَكَ الْمُمْتَازَ الَّذِي كُنَّا نَصْطَادُهُ كَانَ
مَوْجُودًا بِكَمِّيَّاتٍ وَفِيرَةٍ حَوْلَ صُخُورِ جَزِيرَةِ مُوسْكُو .

« كَانَ مِنْ عَادَتِنَا أَنْ نُبْجَرَ إِلَى الْجَزِيرَةِ فِي رُبْعِ السَّاعَةِ الَّذِي يَقَعُ بَيْنَ حَرَكَتَيْ
الْمَدِّ وَالْجُزْرِ ، ثُمَّ نَقُومُ بِالصَّيْدِ هُنَاكَ حَتَّى تَأْتِيَ فِتْرَةُ الْهُدُوءِ التَّالِيَةِ بَعْدَ حَوَالِي
سِتِّ سَاعَاتٍ ، وَعِنْدَئِذٍ نَقُومُ بِرِحْلَةِ الْعُودَةِ . وَلَمْ نَكُنْ نَبْدَأُ الْإِبْحَارَ إِلَّا فِي
رِيحٍ طَيِّبَةٍ أَتَتْ رِحْلَتِي الذَّهَابِ وَالْعُودَةِ . وَلَمْ يَحْدُثْ أَنْ أُخْفِقْنَا فِي حِسَابِ
الزَّمَنِ حِسَابًا دَقِيقًا إِلَّا فِي مَرَّتَيْنِ ، وَفِي الْمَرَّتَيْنِ حَظَيْنَا بِالسَّلَامَةِ وَالْأَمَانِ وَنَحْنُ
عَلَى مَقَرَّةٍ مِنَ الْجُزْرِ .

« كُنَّا نَعْبُرُ الْمَوْسُكُوسْتَرُومَ نَفْسَهَا دُونَ أَنْ يُصَيِّنَا مَكْرُوهٌ ، عَلَى الرَّغْمِ

مَنْ أَنَّ قَلْبِي كَانَ يَحْفِقُ بِعَنَفٍ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ عِنْدَمَا كُنَّا نَقُومُ بِالْعُبُورِ
مُتَأَخِّرِينَ أَوْ مُتَقَدِّمِينَ بِدَقِيقَةٍ أَوْ مَا يُقَارِبُهَا عَنِ الْمَوْعِدِ الْمُحَدَّدِ لِفَتْرَةِ الْهَدْوِ .
وَكَانَ لِأَخِي الْأَكْبَرِ ابْنِ يَبْلُغٍ مِنَ الْعُمُرِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ عَامًا ، كَمَا كَانَ لِي ثَلَاثَةَ
أَبْنَاءٍ . وَكَانَ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يُسَاعِدُونَا بِاسْتِخْدَامِ الْمَجَادِيفِ فِي فَرَاتِ
الْهَدْوِ . وَلَكِنَّا لَمْ نَفَكِّرْ قَطُّ فِي تَعْرِيزِهِمْ لِلْخَطَرِ الَّذِي كُنَّا نَقْدِمُ نَحْنُ عَلَيْهِ .
ذَلِكَ أَنَّ الْأَمْرَ كَانَ جَدًّا خَطِيرًا وَهَذِهِ هِيَ الْحَقِيقَةُ .

« كَانَ ذَلِكَ مُنْذُ حَوَالِي ثَلَاثِ سَنَوَاتٍ ، وَبِالتَّحْدِيدِ فِي الْيَوْمِ الْعَاشِرِ مِنْ
يُولْيُوسِ سَنَةِ ١٨ عِنْدَمَا صَادَفْنَا عِنْدَ هَذَا السَّاحِلِ اعْتَنَفَ عَاصِفَةٌ هَبَّتْ عَلَيْنَا فِي
حَيَاتِنَا ، عَلَى الرِّغَمِ مِنْ أَنَّ الرِّيحَ كَانَتْ تَهْبُ رُخَاءً مِنَ الْجَنُوبِ الشَّرْقِيِّ مُنْذُ
الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ حَتَّى سَاعَةِ مُتَأَخِّرَةِ بَعْدَ الظُّهْرِ ، وَلَمْ تَكُنْ فِي السَّمَاءِ سَحَابَةٌ
وَاحِدَةٌ . وَكُنَّا نَحْنُ الثَّلَاثَةُ - أَخَوَايَ وَأَنَا - قَدْ عَبَرْنَا إِلَى الْجُزُرِ فِي حَوَالِي
السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ بَعْدَ الظُّهْرِ . وَبَعْدَ فِتْرَةٍ وَجِيزَةٍ كُنَّا قَدْ مَلَأْنَا الْقَارِبَ بِالسَّمَكِ
الْمُمْتَنَزِ ، وَاجْتَمَعْنَا أَنَّ السَّمَكَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ كَانَ أَوْفَرَ مِنْهُ فِي أَيِّ وَقْتٍ
مَضَى . وَبَدَأْنَا رِحْلَةَ الْعُودَةِ عِنْدَمَا كَانَتْ سَاعَتِي تُشِيرُ إِلَى السَّابِعَةِ حَتَّى نَصِلَ
إِلَى مَكَانِ الْمَوْسِكُوسْتَرُومِ وَقْتُ هَدْوِ الْمَاءِ ، فَقَدْ كُنَّا نَعْرِفُ أَنَّ الْهَدْوَّ
سَوْفَ يَحِينُ فِي السَّاعَةِ الثَّامِنَةِ مَسَاءً .

« وَاصِلْنَا إِنْجَارَنَا بِسُرْعَةٍ عَالِيَةٍ لِفَتْرَةٍ مِنَ الزَّمَنِ دُونَ أَنْ يَكُونَ لَدَيْنَا أَيُّ
اِحْتِمَالٍ بِأَنْ شَيْئًا خَطِيرًا سَوْفَ يَحْدُثُ . وَفَجْأَةً وَبِدُونِ أَيِّ إِنْذَارٍ تَوَقَّفَتْ
الرِّيحُ وَلَمْ نَسْتَطِعْ أَنْ نُحَرِّرَ أَيُّ تَقْدِيمٍ . وَفِي نَفْسِ الْوَقْتِ جَاءَتْ وَرَاءَنَا سَحَابَةٌ

غَرِيبَةٌ نُحَاسِيَةُ اللَّوْنِ تَتَحَرَّكُ بِسُرْعَةٍ فَائِقَةٍ . وَلَمْ تَدَعْ لَنَا الْعَاصِفَةَ وَقْتُاً نَفَكِّرُ
فِيهِ ؛ فَفِي أَقَلِّ مِنْ ثَلَاثِ دَقَائِقَ كَانَتْ قَدْ أَحَاطَتْ بِنَا وَاطْلَمَ الْجَوْ فَلَمْ يَسْتَطِعْ
أَحَدُنَا أَنْ يَرَى الْآخَرَ فِي الْمَرْكَبِ .

« مِنَ الْعَبَثِ أَنْ أُحَاوَلَ وَصَفَ تِلْكَ الْعَاصِفَةَ ، ذَلِكَ أَنَّ أَكْبَرَ الْبَحَارَةِ
الَّتِي يُجَيِّسُ سِنًا لَمْ يَشْهَدْ مِثْلًا لَهَا فِي حَيَاتِهِ . فَبِمُجَرَّدِ هُبُوبِهَا قَذَفْتُ بِأَخِي
الْأَصْغَرَ إِلَى الْبَحْرِ حَيْثُ لَقِيَ حَتْفَهُ . وَكَانَ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ أَلْقَى مَصِيرَهُ لَوْ لَمْ
أُنْبَطِّحْ وَأُمْسِكْ بِخَلْقَةٍ حَدِيدِيَّةٍ كَانَتْ فِي وَسْطِ الْمَرْكَبِ .

« غَمَرْنَا مَاءَ الْبَحْرِ عِدَّةَ دَقَائِقَ كُنْتُ خِلَالَهَا أُمْسِكُ بِأَنْفَاسِي ، وَعِنْدَمَا
أَصْبَحَ مِنَ الْمُسْتَحِيلِ أَنْ أَتَوَقَّفَ عَنِ التَّنَفُّسِ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ جَلَسْتُ عَلَى رُكْبَتِي
مَعَ تَشَبُّهِ بِالْخَلْقَةِ الْحَدِيدِيَّةِ ، وَبِذَلِكَ رَفَعْتُ رَأْسِي فَوْقَ الْمَاءِ لِاتَّنَفُّسِ . ثُمَّ
اهْتَزَّ مَرْكَبُنَا الصَّغِيرُ كَمَا يَهْتَزُّ الْكَلْبُ عِنْدَ خُرُوجِهِ مِنَ الْمَاءِ ، وَطَفَأَ عَلَى الْمَوْجِ
بِصُورَةٍ جُزْئِيَّةٍ . وَفِي اللَّحْظَةِ التَّالِيَةِ شَعُرْتُ بِيَدِ تُمْسِكِ ذِرَاعِي ، وَكَانَ ذَلِكَ
أَخِي الْأَكْبَرُ وَدَقَّ قَلْبِي فَرَحًا بِهِ إِذْ إِنِّي كُنْتُ حَسِبْتُهُ قَدْ غَرِقَ لَا مَحَالَةَ .
وَلَكِنْ سَرَعَانِ مَا تَحَوَّلَ فَرَحِي إِلَى خَوْفٍ عِنْدَمَا وَضَعَ فَمَهُ عَلَى مَقَرَّةٍ مِنْ أُذُنِي
وَصَاحَ بِكَلِمَةٍ « مُوسْكُوسْتَرُوم » .

« لَيْسَ فِي وَسْطِ أَحَدٍ أَنْ يُدْرِكَ كَيْفَ كَانَتْ مَشَاعِرِي فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ :
لَقَدْ ارْتَعَدْتُ مِنْ قَمَّةِ رَأْسِي إِلَى أَحْمَصِ قَدَمِي ، وَكَأَنَّمَا قَدْ أَصَابَتْني أَشَدُّ حُمَّى
يُمْكِنُ تَحْيِلُهَا . لَقَدْ عَرَفْتُ مَا كَانَتْ تُعْنِيهِ تِلْكَ الْكَلِمَةُ الْوَاحِدَةُ ، وَعَرَفْتُ
مَا يُرِيدُنِي أَنْ أُدْرِكُهُ . لَقَدْ كَانَتْ الرِّيحُ تَدْفَعُنَا رَأْسًا آلَانَ نَحْوَ دُوَامَةِ

أَلَمْؤَسْكؤُسْتَرؤوم . وَلَئَسَ أَمَامَنَا مَا يُؤَمَكِنُ أَن يُنْقِذَنَا اللَّهُمَّ إِلَّا إِذَا وَصَلْنَا إِلَيْهَا فِي
فَتْرَةِ الْهُدؤِ .

« كُنَّا قَدْ فَقَدْنَا أَشْرَعَتَنَا وَلَمْ نُعِدْ لَنَا قُدْرَةً عَلَى السَّيْطَرَةِ عَلَى الْمَرْكَبِ وَنَحْنُ
نُتَدَفِعُ بِسُرْعَةٍ وَسَطَ أَمْوَاجِ كَالْجِبَالِ لَمْ أَرْ مَثِيلًا لَهَا طَوَالَ حَيَاتِي . وَحَدَّثَ
شَيْءٌ مِنَ التَّغْيِيرِ فِي السَّمَاءِ عَلَى الرَّغَمِ مِنْ أَنَّ الظُّلَامَ كَانَ مُطْبِقًا عَلَيْنَا مِنْ كُلِّ
جَانِبٍ . إِنْتَابَتُنِي الْخَيْرَةُ لِفَتْرَةِ قَصِيرَةٍ ، ثُمَّ ظَهَرَتْ فَوْقَنَا مُبَاشِرَةً دَائِرَةً وَسَطَ
السَّحَابِ أَظْهَرَتْ لِي السَّمَاءَ الزَّرْقَاءَ الصَّافِيَةَ ، وَظَهَرَ الْبَدْرُ بِنُورِهِ مُنِيرًا كُلَّ مَا
حَوْلَنَا . وَلَكِنْ بِالْهَ مِنْ مَنَظَرٍ ذَلِكَ الَّذِي أَظْهَرَهُ لِي ضَوْءُ الْقَمَرِ .

« حَاوَلْتُ آنَذَاكَ أَن أُتَحَدَّثَ مَعَ أَخِي ، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ فِي اسْتِطَاعَتِهِ أَن
يَسْمَعَ كَلِمَةً وَاحِدَةً مِمَّا قُلْتُه ، لِأَنَّ الصَّوْتِ حَوْلَنَا كَانَ قَدْ عَلَا غُلُوبًا كَبِيرًا
لِسَبَبٍ لَمْ أُعْرِفْهُ . حَرَّكَ أَخِي رَأْسَهُ وَرَفَعَ سَبَابَتَهُ كَأَنَّمَا يَقُولُ لِي :
(اسْمِعْ !) وَلَكِنِّي لَمْ أَفْهَمْ مَا كَانَ يَعْنِيهِ .

« فَجَاءَتْ جَاءَتُنِي فِكْرَةٌ مُفْرِعَةٌ ، فَأَخْرَجْتُ سَاعَتِي وَعَرَفْتُ أَنَّهَا قَدْ
تَوَقَّفَتْ ، وَنَظَرْتُ إِلَى عَقَارِبِهَا فِي ضَوْءِ الْقَمَرِ وَأَذْرَكْتُ السَّبَبَ فِي كُلِّ هَذَا
الْهَوْلِ . لَقَدْ تَوَقَّفَتْ سَاعَتِي عِنْدَ السَّاعَةِ السَّابِعَةِ . صَدَمْتُنِي تِلْكَ الْحَقِيقَةُ ،
فَانْفَجَرْتُ بَاكِيًا وَأَنَا الْقِي بِالسَّاعَةِ إِلَى عَرْضِ الْمُحِيطِ . لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ سَبَبَ
تَأْخِرِنَا إِلَى مَا بَعْدَ فَتْرَةِ الْهُدؤِ ، وَصَارَتْ الدَّوَامَةُ آنَذَاكَ فِي أَوْجِ عُنُقِهَا .

« بَعْدَ فَتْرَةٍ وَجِيزَةٍ جَاءَتْ مَوْجَةٌ عَالِيَةً فَحَمَلَتْنَا مَعَهَا عَالِيًا كَأَنَّمَا تَذْهَبُ بِنَا



إلى غنان السماء ، ثم اندفعنا بعد ذلك إلى أسفل تهوي بسرعة جعلتني أشعر
بالغثيان . وكنت عندما رفعتنا الموجه قد نظرت من شاهق نظرة سريعة على
ما حولي ، وكانت تلك النظرة كافية ، فقد أدركت حقيقة موقعنا في لحظة
واحدة . إن دوامة الموسكوستروم على بُعد كيلو متر منا ، وأغمضت عيني
وقد استبد لي الخوف بدرجة لم يسبق أن شعرت بها قط .

« بعد ما لا يزيد عن دقيقتين كنا قد دخلنا ذلك الطوق الأبيض العريض
الذي يحيط بالدوامة ، ودار المركب حول نفسه نصف دورة نحو
الداخل . ثم انطلق في اتجاهه الجديد وكأنه سهم يتطلق من قوسيه . وخفت
الريح والأمواج ، وتغير زئير الماء ليصبح صغيراً عالياً ، وكأنه صغير ألف
سفينية بخارية أرسلت صغيرها دفعة واحدة . توقفت بطبيعة الحال أننا سوف
نعوص في قاع الدوامة بعد دقيقة أخرى . ولم يكن في وسعنا أن ننظر إلى
مركز الدوامة بسبب السرعة الهائلة التي كنا نتطلق بها . وكان المحيط الذي
حلفناه وراءنا يقف الآن إلى جانبنا وكأنه حائط هائل يحول بيننا وبين النظر
إلى الأفق .

« قررت بيني وبين نفسي - بعد أن أصبحنا الآن فريسة في فم
الموت - ألا أتعلق بأي أمل . وعندما وصلت إلى هذا القرار بدأت أفكر في
روعة الموت بهذه الطريقة وقد أحاطت بنا من كل جانب دلائل قدرة الله .
ربما اعتقدت أنه شيء أشبه بالجنون - أو أنه جنون اليأس - ولكن الرغبة
التي راودتني في تلك اللحظة هي اكتشاف ما في أعماق هذه الدوامة . وكان

ما أحرزني كثيراً هو أنني لن أعيش بعد ذلك لأزوي لأصحابي على الشاطئ
تلك الأسرار الغامضة التي يكتمها البحر في أحشائه والتي سوف أطلع
عليها .

« من المستحيل أن نقول كم من المرات درنا حول حافة الدوامة . لقد
مكننا حوالى الساعة ندور وندور ، وكنا نقترّب بالتدريج من الطرف
الداخلي المفزع لذلك الطوق الأبيض . وكان الماء تحتنا يتحدر بزاوية
حادّة ، وكنت طوال هذا الوقت متشبهاً بقوة بالحلقة الحديدية . أما أخي
فقد كان في ذلك الوقت في مؤخرة المركب ممسكاً ببرميل فارغ صغير كان
مربوطاً بالمركب رتباطاً محكمًا . وكان ذلك البرميل الشيء الوحيد الذي لم
تعصف به الرياح عندما داهمتنا أول مرة . وفي دورتنا الأخيرة حول حافة



الدَّوَامَةِ ، قَبْلَ أَنْ يَهْبِطَ مَرْكَبُنَا إِلَى وَسْطِهَا ، انْدَفَعَ أَخِي نُحْوِي وَالْخَوْفُ
يَعْصِرُهُ — خَوْفٌ مَنْ أُصِيبَ بِالْجُنُونِ — وَفَكَ يَدَيَّ مِنَ الْحَلْقَةِ لِيُمْسِكَ هُوَ
بِهَا . وَلَمْ أَشْعُرْ بِحُزْنٍ كَذَلِكَ الْحُزْنِ الَّذِي شَعَرْتُ بِهِ عِنْدَمَا حَدَثَ هَذَا مِنْ
أَخِي ، رَغَمَ أَنِّي كُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّ عَمَلَهُ هَذَا لَنْ يُقَدَّمَ أَوْ يُؤَخَّرَ ؛ فَتَرَكْتُ لَهُ الْحَلْقَةَ
لِيُمْسِكَ بِهَا وَذَهَبْتُ أَنَا إِلَى الْبَرَمِيلِ . وَمَا إِنَّ أُمْسَكْتُ بِالْبَرَمِيلِ حَتَّى دَارَ الْمَرْكَبُ
دَوْرَةً غَنِيْفَةً نَحْوَ الدَّاخِلِ ، وَانْدَفَعَ مَعَ الْمِيَاهِ الدَّوَارَةِ فِي الْجُزْءِ الْأَسْفَلِ مِنَ
الدَّوَامَةِ . وَعِنْدَئِذٍ دَعَوْتُ اللَّهَ بِدُعَاءٍ قَصِيرٍ وَقُلْتُ فِي نَفْسِي لَقَدْ أَنْتَهَى كُلُّ شَيْءٍ .

« عِنْدَمَا شَعَرْتُ بِالنُّزُولِ الْفُجَائِي الْمُرْعِبِ أَرَدَدْتُ تَشَبُّثًا بِالْبَرَمِيلِ ،
وَأَغْمَضْتُ عَيْنَيَّ وَلَمْ أُجَسِّرْ عَلَى فَتْحِهِمَا لِيَضَعَ ثَوَانٍ ، فَقَدْ كُنْتُ أَتَوَقَّعُ النَّهَايَةَ
عَلَى الْقَوْرِ ، وَتَعَجَّبْتُ لِمَاذَا لَمْ أَكُنْ حَتَّى الْآنَ فِي صِرَاعٍ الْمَوْتِ مَعَ الْمَاءِ .
وَمَرَّتْ دَقِيقَةٌ وَأَنَا مَا زِلْتُ حَيًّا . وَعِنْدَمَا زَالَ عَنِّي الشُّعُورُ بِالسَّقُوطِ إِلَى آهَاوِيَةِ
تَجَاسَّرْتُ وَفَتَحْتُ عَيْنَيَّ .

« لَنْ أُنْسِيَ طَوَالَ حَيَاتِي ذَلِكَ الْمَنْظَرَ الَّذِي رَأَيْتُهُ . لَقَدْ بَدَأَ لِي أَنَّ الْمَرْكَبَ
مُعَلَّقًا فِي النَّصْفِ الدَّاخِلِيِّ لِخُفْرَةٍ دَائِرِيَّةٍ عَلَى شَكْلِ قِمَعٍ قَطْرُهُ أَقْلٌ مِنْ كَيْلُو
مِثْرٍ وَعُمْقُهُ سَاحِقٌ . وَكَانَتْ جُدُرَانُ تِلْكَ الْخُفْرَةِ مِنَ الْمَاءِ الْأَسْوَدِ الْأَمْلَسِ
كَالْأَبْنُوسِ اللَّامِعِ ، وَكَانَتْ تَدُورُ وَتَدُورُ بِسُرْعَةٍ مُفْرَعَةٍ . وَكَانَ ضَوْؤُ الْقَمَرِ
يَنْسَابُ فِي رَوْعَتِهِ عَلَى تِلْكَ الْجُدُرَانِ وَإِلَى الْجُزْءِ السُّفْلِيِّ مِنْهَا حَتَّى قَاعِ
الْمُحِيطِ .

كُنْتُ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ مِنَ الْآرْتِيَاكِ بِحَيْثُ لَمْ أَلَا حِظٌّ إِلَّا الْمَنْظَرُ الْعَامُّ لِمَا حَوْلِي —
وَلَكِنْ بَعْدَ مُرُورِ دَقِيقَةٍ أَوْ اثْنَتَيْنِ لَاحَظْتُ أَنَّ زَاوِيَةَ الْجِدَارِ الْمَاءِ كَانَتْ حَوَالِي
خَمْسِينَ دَرَجَةً وَأَنَّ الْمَرْكَبَ كَانَ مُسْتَوِيًّا عَلَى الْمَاءِ فِي وَضْعِهِ الْعَادِيِّ وَلَمْ أَجِدْ
صُعُوبَةً فِي أَنْ أَحَافِظَ عَلَى مَوْضِعِ قَدَمَيَّ ، إِذْ إِنَّ سُرْعَةَ الدَّوَرَانِ كَانَتْ هَائِلَةً .

« كَانَ آنِزْلَانَا أَوَّلَ مَرَّةٍ نَحْوَ الدَّوَامَةِ قَدْ دَفَعْنَا — كَمَا سَبَقَ أَنْ ذَكَرْتُ —
إِلَى حَوَالِي مُتَنَصِّفِ الطَّرِيقِ نَحْوَ آهَاوِيَةِ . وَلَكِنْ نَزَلْنَا إِلَيْهَا بَعْدَ ذَلِكَ أَصْبَحَ
أَكْثَرَ بَطْنًا إِذْ أَخَذْنَا تَدُورَ وَتَدُورَ وَفِي كُلِّ دَوْرَةٍ كُنَّا نَنْزِلُ مِثْرًا أَوْ
مَا يُقَارِبُهُ .

« لَقَدْ أَتَانِي فِي ذَلِكَ فُرْصَةٌ لَأَنْ أَنْظُرَ حَوْلِي فَأَدْهَشَنِي أَنْ أَرَى أَنَّ مَرْكَبَنَا
لَمْ يَكُنْ الشَّيْءَ الْوَاحِدَ الَّذِي يَتَحَرَّكُ عَلَى صَفْحَةِ الدَّوَامَةِ . فَقَدْ كَانَ فِي وَسْعِي
أَنْ أَرَى فَوْقَنَا وَتَحْتَنَا بَعْضَ حُطَامِ السُّفُنِ وَجُدُوعِ الْأَشْجَارِ وَأَشْيَاءَ صَغِيرَةٍ مِثْلِ
الصَّنَادِقِ وَالْبَرَامِيلِ وَالْعِصِيِّ . لَا بُدَّ أَنِّي لَمْ أَكُنْ فِي وَغْيِي الْكَامِلِ فِي ذَلِكَ
الْوَقْتِ ، إِذْ إِنِّي كُنْتُ أَسْأَلُ وَأَنَا أَنْتَظِرُ الْمَوْتَ — بِمُحَاوَلَةِ تَحْمِينِ أَيِّ الْأَشْيَاءِ
هِيَ تِلْكَ الَّتِي جَاءَ عَلَيْهَا الدَّوْرُ لَأَنْ تَذْهَبَ إِلَى الْقَاعِ .

« وَقُلْتُ فِي نَفْسِي ذَاتَ مَرَّةٍ : (لَا بُدَّ أَنْ كُتِلَ الْخَشَبُ تِلْكَ هِيَ الَّتِي جَاءَ
دَوْرُهَا إِلَيَّ تَحْتَنِي .) وَلَكِنْ خَابَ ظَنِّي عِنْدَمَا رَأَيْتُ حُطَامَ إِحْدَى السُّفُنِ
التَّجَارِيَّةِ يَسْبِقُهَا إِلَى قَاعِ الْبَحْرِ . وَقَدْ وَقَعْتُ فِي عِدَّةِ أخطاءٍ مِنْ هَذَا النَّوعِ
قَبْلَ أَنْ يَهْبِطَ عَلَيَّ فِكْرَةٌ ... فِكْرَةٌ جَعَلَتْ أَطْرَافِي تَرْتَعِدُ ثَانِيَةً ، وَقَلْبِي يَدُقُّ بِغَنَفٍ
مَرَّةً أُخْرَى .

« لَمْ يَكُنْ مَا أَلْهَبَ مُشَاعِرِي خَوْفًا مِنْ نَوْعٍ جَدِيدٍ ، بَلْ كَانَ مِيلَادَ أَمَلٍ مُثِيرٍ . كَانَ لِأَخْطَائِي فِي التَّخْمِينِ مَعْنَى وَاحِدٌ : إِنْ أَلْشَيْءُ الْكَبِيرُ كَانَ يَقُومُ بِرَحْلَةٍ أَلْهَوِيَةٍ بِسُرْعَةٍ أَكْبَرَ مِنْ أَلْشَيْءِ الصَّغِيرِ . وَبَدَأَ لِي وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى الْأَشْيَاءِ أَلْطَافِيَّةً أَنَّ عَدَدًا كَبِيرًا مِنَ الْأَجْسَامِ الصَّغِيرَةِ الْحَجْمِ لَنْ تُصِلَ إِلَى مَرْكَزِ الدَّوَامَةِ أَبَدًا ، وَأَنَّ حَرَكَةَ أَلْمَدِّ سَتَتَغَيَّرُ وَتَهْدَأُ الدَّوَامَةُ قَبْلَ أَنْ تُغْوِصَ تِلْكَ الْأَجْسَامُ إِلَى أَلْقَاعِ . وَعِنْدَيْدِ سَوْفَ تَظَلُّ طَافِيَّةً عَلَى السَّطْحِ وَيَحْمِلُهَا أَلْتِّيَارُ إِلَى حَيْثُ يَشَاءُ .

« وَأَثْنَاءَ تَفْكِيرِي فِي هَذِهِ أَلْظَاهِرَةِ لَاحَظْتُ أَنَّ جِدْعَ شَجَرَةٍ قَصِيرًا وَسَمِيكًا كَانَ فِي مُحَادَاثِنَا مِنْ قَبْلُ ، وَلَكِنَّهُ أَلَّانَ أَعْلَى مِنَّا بِكَثِيرٍ وَأَنَا كُلَّمَا مَرَرْنَا بِهِ ارْتَدَّادَتِ أَلْمَسَافَةُ بَيْنَنَا اتِّسَاعًا . لَمْ أُرْدَدْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ بَلْ قَرَرْتُ أَنَّ أُرْبِطَ نَفْسِي إِلَى أَلْبِرْمِيلِ أَلَّذِي كُنْتُ مِمْسِكًا بِهِ ثُمَّ أَفُكُ وَثَاقَهُ مِنَ أَلْمَرْكَبِ ، وَأَلْقِي بِنَفْسِي مَعَهُ إِلَى أَلْمَاءِ .

« وَحَاوَلْتُ قَدْرَ إِمْكَانِي أَنْ أَشْرَحَ هَذِهِ أَلْخُطَّةَ لِأَخِي مُسْتَعْمِلًا أَلْإِشَارَاتِ وَكُنْتُ أَثْنَاءَ شَرْحِي لَهُ أَشِيرُ إِلَى كُتَلِ أَلْخَشَبِ أَلَّتِي أَقْتَرَبْتُ مِنَّا . وَأَعْتَقِدُ أَنَّهُ فَهِمَ مَا أُرِيدُ قَوْلُهُ وَلَكِنْ سَوَاءٌ أَلْكَانَ قَدْ فَهِمَ حَقِيقَةَ أَمٍّ لَا ، فَإِنَّهُ حَرَّكَ رَأْسَهُ رَافِضًا فِي يَأْسٍ وَأَبَى أَنْ يُغَادِرَ مَكَانَهُ بِجَوَارِ أَلْحَلَقَةِ أَلْحَدِيدِيَّةِ . لَقَدْ كَانَ أَلْأَمْرُ آنَذَاكَ فِي حَاجَةٍ إِلَى تَصَرُّفٍ سَرِيعٍ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي وَسْعِي أَنْ أَتَأَخَّرَ فَتَرَكْتُ أَخِي لِمَصِيرِهِ عَلَى أَلرَّغِمِ مِنِّي ، ثُمَّ قُمْتُ بِرَبْطِ نَفْسِي إِلَى أَلْبِرْمِيلِ مُسْتَحْدِمًا أَلْحَبْلَ أَلَّذِي يَرْبُطُ أَلْبِرْمِيلَ بِأَلْمَرْكَبِ ، وَتَدَخَّرْتُ نَحْوَ أَلْبَحْرِ دُونَ أَيِّ تَرَدُّدٍ .

« كَانَتْ أَلنتيجةُ كَمَا تَوَقَّعْتُ تَمَامًا . وَبِمَا أَنِّي أَقْصُ عَليْكَ أَلَّانَ هَذِهِ أَلْقِصَّةَ فِيمَمَكِنُكَ أَنْ تَرَى أَنِّي قَدْ نَجَوْتُ بِأَلطَرِيقَةِ أَلَّتِي وَصَفْتُهَا . فَفِي أَلْسَاعَةِ أَلتَّالِيَةِ كَانَ مَرْكَبُنَا قَدْ هَبَطَ نَحْوَ مَرْكَزِ الدَّوَامَةِ بِمَسَافَةٍ أَكْبَرَ بِكَثِيرٍ مِنْ أَلْمَسَافَةِ أَلَّتِي هَبَطْتُ بِهَا . وَقَدْ رَأَيْتُ مَرْكَبَنَا يَقُومُ بِثَلَاثِ لَفَّاتٍ سَرِيعَةٍ أَوْ أَرْبَعٍ ، ثُمَّ يُغْوِصُ فَجَاءَةً وَإِلَى أَلْأَيْدٍ حَامِلًا أَخِي أَلْمَحْجُوبَ إِلَى أَلْمِيَاهِ أَلْغَاضِيَّةِ فِي قَاعِ الدَّوَامَةِ . أَمَّا أَلْبِرْمِيلُ أَلَّذِي كُنْتُ مَرْبُوطًا فِيهِ فَلَمْ يَهْبِطْ إِلَّا نِصْفَ أَلْمَسَافَةِ ، ثُمَّ حَدَثَ تَغْيِيرٌ كَبِيرٌ فِي أَلْمِنْطَقَةِ أَلْمُحِيطَةِ لِي ، إِذْ أَخَذْتُ زَاوِيَةَ أَلْجِدَارِ أَلْمَاءِ فِي

الدَّوَامَةِ ثِقَلٌ تَدْرِجِيًّا ، وَبَدَأَتْ حَرَكَةُ الدَّوَامَةِ الدَّائِرِيَّةُ تَخْفُفٌ جِدَّةً ، وَبَدَأَ لِي
أَنْ مَرَكَزَ الدَّوَامَةِ قَدْ بَدَأَ يَرْتَفِعُ . أَمَّا السَّمَاءُ فَقَدْ صَفَتْ ، وَالرِّيَّاحُ قَدْ هَدَأَتْ ،
وَكَانَ الْبَدْرُ قَدْ أَوْشَكَ عَلَى الْغُرُوبِ عِنْدَمَا طَفَوْتُ عَلَى سَطْحِ الْمُحِيطِ . لَقَدْ
كُنْتُ فَوْقَ الْمَكَانِ الَّذِي احْتَلَّتْهُ الدَّوَامَةُ . وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ كَانَ الْوَقْتُ
الَّذِي تَهْدَأُ فِيهِ الدَّوَامَةُ إِلَّا أَنَّ الْمَوْجَ كَانَ عَالِيًا بِسَبَبِ الْعَاصِفَةِ .

« وَبَعْدَ فِتْرَةٍ حَمَلَنِي التَّيَّارُ السَّرِيعُ نَحْوَ الشَّاطِئِ فِي مِثْقَةِ الصَّيْدِ
الْجَنُوبِيَّةِ ، وَهُنَاكَ التَّقَطَّنِي مَرْكَبُ صَيْدٍ ، وَكَانَ بَحَارَتُهُ مِنْ أَصْدِقَائِي فِي
لُفُوفَتَيْنِ . وَلَكِنْ لَمْ يَعْرِفْنِي أَيُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ لِأَنَّ شَعْرِي الَّذِي كَانَ أَسْوَدَ اللَّوْنِ
فِي الْيَوْمِ الْأَمَاضِيِّ قَدْ أَيْضًا كُلُّهُ كَمَا تَرَاهُ الْآنَ . وَمَكثْتُ فِتْرَةً لَا أَقْوَى عَلَى
الْكَلَامِ رَغْمَ أَنَّ الْخَطَرَ قَدْ زَالَ بِسَبَبِ التَّجَرُّبَةِ الْمَرِيرَةِ الَّتِي مَرَّتْ بِي .

« ثُمَّ أَخْبَرْتُهُمْ بِقِصَّتِي فِي النَّهَايَةِ ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يُصَدِّقُوا . وَهَئِنَا أُخْبِرُكَ
بِهَا وَلَا أَتَوَقَّعُ مِنْكَ أَنْ تَكُونَ أَكْثَرَ تَصَدِّيقًا مِنْهُمْ . »

الْهَيَارُ بَيْتِ « أَشَر »

سَافَرْتُ وَخَدِي مُمْتَطِيًا جَوَادِي مُيَمَّمًا شَطْرَ « بَيْتِ أَشَر » ، وَكَانَ
سَفَرِي فِي يَوْمٍ كَثِيبٍ مِنْ أَيَّامِ الْحَرِيفِ . وَعِنْدَمَا اقْتَرَبْتُ مِنَ الْمَكَانِ شَعَرْتُ
بِانْقِبَاضٍ ، وَازْدَادَ هَذَا الشُّعُورُ وَكَأَنَّمَا كَانَ يَتَجَاوَبُ مَعَ تِلْكَ السَّمَاءِ الْغَائِمَةِ
الْمُظْلِمَةِ فَوْقِي ، وَمَعَ تِلْكَ الْجُذُرَانِ الْبَارِدَةِ الرَّمَادِيَّةِ أَمَامِي . وَلَمْ أَعْرِفْ سَبَبًا
لِشُّعُورِ الْإِنْقِبَاضِ هَذَا مَا لَمْ يَكُنْ نَتِيجَةً لِمَظْهَرِ الْبَيْتِ الْقَدِيمِ الْمَتَدَاعِي
وَالْمِنْطَقَةِ الْمُحِيطَةِ بِهِ . لَقَدْ كَانَتْ تَوَافِدُ الْبَيْتِ الْكَبِيرَةِ السَّوْدَاءِ تَبْدُو أَمَامِي
وَكَأَنَّمَا أَغْنَيْنِ سَوْدَاءَ فِي وَجْهِ خَالٍ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ سِوَاهَا . وَكَانَتْ الْجُذُوعُ
الْبَيْضَاءُ لِأَشْجَارِ خَالِيَةٍ مِنَ الْحَيَاةِ تُحِيطُ بِخَيْرَةٍ سَكَنَتْ مِيَاهُهَا . وَكَانَتْ تِلْكَ
الْمِيَاهُ السَّاكِنَةُ تَعَكِّسُ الْمَنْظَرَ الْمُحِيطَ بِهَا فَتَبْدُو الصُّورَةَ أَكْثَرَ كَابَةً مِنَ
الْحَقِيقَةِ . وَأَخِيرًا تَحَلَّيْتُ عَنْ مُحَاوَلَةِ مَعْرِفَةِ سَبَبِ انْقِبَاضِي وَتَرَكْتُ الْبَحِيرَةَ
مُتَّجِهَا نَحْوَ الْبَيْتِ .

كَانَ رُودْرِيكَ أَشَر - صَاحِبُ الْبَيْتِ - أَقْرَبُ أَصْدِقَاءِ الطُّفُولَةِ إِلَى
نَفْسِي ، وَلَكِنْ لِقَاءَنَا الْأَخِيرَ كَانَ مُنْذُ عِدَّةِ سَنَوَاتٍ . وَكَانَ قَدْ أُرْسِلَ إِلَيَّ أَخِيرًا
دَعْوَةً عَاجِلَةً لِأَقُومَ بَزِيَارَتِهِ ، بَلْ إِنَّهُ فِي الْحَقِيقَةِ قَدْ رَجَانِي أَنْ أُمَكِّثَ عِنْدَهُ عِدَّةَ
أَسَابِيعَ . وَقَالَ لِي فِي خِطَابِهِ إِنَّهُ كَانَ يُعَانِي مِنْ مَرَضٍ شَدِيدٍ ؛ مَرَضٍ فِي
أَعْصَابِهِ ، وَإِنْ صُحْبَتِي لَهُ سَوْفَ تَدْخُلُ الْبَهْجَةَ إِلَى نَفْسِهِ ، وَتُهْدِي مِنْ
أَفْكَارِهِ الْمُضْطَرِبَةِ . وَشَعَرْتُ مِنْ خِطَابِهِ أَنَّهُ صَادِقٌ فِي كُلِّ مَا قَالَهُ ، فَلَمْ أَتَرَدَّدْ
فِي تَلْبِيَةِ دَعْوَتِهِ . وَهَئِنَا أَمَامَ بَيْتِ أَشَر .

عَلَى الرَّغْمِ مِنْ صِدَاقَتِنَا الْحَمِيمَةِ خِلَالَ فِتْرَةِ الطُّفُولَةِ فَإِنَّ مَعْلُومَاتِي عَنْهُ
كَانَتْ قَلِيلَةً . لَقَدْ تَذَكَّرْتُ أَنَّهُ غَالِبًا مَا كَانَ هَادِئًا مُنْزَوِيًّا ، وَأَنَّ عَائِلَتَهُ الْعَرِيقَةَ
عُرِفَ أَفْرَادُهَا بِخَيَالِهِمِ الْمُمَيِّزِ ، وَأَنَّ تِلْكَ الظَّاهِرَةَ قَدْ تَجَلَّتْ فِي صُورَةِ أَعْمَالِ
فَنِيَّةٍ وَمُوسِيقِيَّةٍ عَظِيمَةٍ وَعَدِيدَةٍ . وَكُنْتُ أَعْرِفُ كَذَلِكَ تِلْكَ الْحَقِيقَةَ الْعَرِيقَةَ
عَنِ الْعَائِلَةِ ، أَعْنِي بِهَا أَنَّهُ لَمْ تَكُنْ لَهَا أَيُّ فُرُوجٍ وَأَنَّ تَسْلُسُلَ أَفْرَادِهَا كَانَ
مُبَاشِرًا ، وَلِهَذَا فَإِنَّ اسْمَ الْعَائِلَةِ وَمُمْتَلَكَاتِهَا كَانَتْ تَنْتَقِلُ مِنَ الْآبِ لِلْأَبْنِ مِنْ
دُونِ انْقِطَاعٍ . وَلِهَذَا فَإِنَّ كَلِمَةَ بَيْتٍ أَشْرَ ، لَمْ تَكُنْ تَعْنِي الْمَنْزِلَ وَالْأَرْضَ
فَحَسَبُ ، وَلَكِنَّهَا كَانَتْ تَعْنِي كَذَلِكَ تِلْكَ الْعَائِلَةَ الْوَحِيدَةَ الَّتِي تَعِيشُ
بِالْبَيْتِ .

عِنْدَمَا اقْتَرَبْتُ مِنَ الْبَيْتِ الرَّمَادِيِّ الضَّخْمِ تَوَهَّمتُ شَيْئًا غَرِيبًا : لَقَدْ خُيِّلَ
إِلَيَّ أَنَّ الْهَوَاءَ الَّذِي يُحِيطُ بِالْبَيْتِ كَانَ مُخْتَلِفًا عَنْ بَاقِي الْهَوَاءِ الَّذِي خَلَقَهُ اللَّهُ .
وَضَنْنْتُ أَنَّ السَّبَبَ فِي ذَلِكَ هُوَ تِلْكَ الْأَشْجَارُ الذَّابِلَةُ وَالْجُدْرَانُ الرَّمَادِيَّةُ
وَالْبَحِيرَةُ السَّاكِنَةُ . بَلْ خُيِّلَ إِلَيَّ أَنَّ الْهَوَاءَ نَفْسَهُ رَمَادِيٌّ وَأَنَّهُ يُحِيطُ بِالْمَكَانِ
كَالسَّحَابِ . وَلَمْ أَتَخَلَّصْ مِنْ وَهْمِي هَذَا إِلَّا بِصُعُوبَةٍ .

وَعِنْدَمَا دَنَوْتُ مِنَ الْبَيْتِ وَرَأَيْتُهُ بِوُضُوحٍ ظَهَرَ أَنَّ الْبَيْتَ قَدِيمٌ
لِلْعَايَةِ - فَقَدْ كَانَ الْبِنَاءُ مَا يَزَالُ كَامِلًا فَلَمْ يَسْقُطْ مِنْهُ أَيُّ جُزْءٍ ، وَلَكِنَّ كُلَّ
حَجَرٍ مِنْ أَحْجَارِهِ كَانَ كَبَقَايَا حَجَرٍ سَحَقَتْهُ الْأَعْوَامُ . وَلَمْ يَظْهَرْ بِالْبَيْتِ



مَظْهَرٌ آخَرُ مِنْ مَظَاهِرِ الضَّعْفِ بِاسْتِثْنَاءِ شَرْحِ طَوِيلِ ضَيْقٍ يَمْتَدُّ مِنْ سَقْفِ
الْبَيْتِ عِنْدَ الْوَاجِهَةِ حَتَّى مُسْتَوَى الْأَرْضِ .

أَخَذَ أَحَدَ الْخَدَمِ حِصَانِي ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَمَرَّ الْمَوْصِلَ لِلْقَاعَةِ .. وَبَعْدَ ذَلِكَ
قَادَنِي آخَرُ فِي سُكُونٍ غَيْرِ الْعَدِيدِ مِنَ الْمَمَرَّاتِ الْمُتَوَاتِرَةِ الْمُظْلِمَةِ لِيَصِلَ بِي إِلَى
غُرْفَةِ سَيِّدِهِ . وَكَانَ لِمُعْظَمِ مَا رَأَيْتُهُ وَأَنَا فِي الْغُرْفَةِ أَثَرٌ غَرِيبٌ فِي نَفْسِي ، رَغْمَ
أَنِّي كُنْتُ مُعْتَادًا طَوَالَ حَيَاتِي عَلَى رُؤْيَا مَا رَأَيْتُ مِنْ أَسْفَفِ مُزْرَكَشِيهِ وَسَتَائِرِ
سَمِيكَةِ وَدُرُوجِ وَأَسْلِحَةِ قَدِيمَةٍ وَصُفُوفٍ مِنَ الصُّورِ . وَقَدْ قَابَلْتُ طَيِّبَ
الْعَائِلَةِ وَأَنَا أَصْعَدُ الدَّرَجَ ، وَقَدْ بَدَتْ عَلَيْهِ مَظَاهِرُ الْخَيْرَةِ وَالْخَوْفِ عِنْدَمَا
رَأَانِي .

عِنْدَمَا وَصَلْتُ فِي النَّهَايَةِ إِلَى غُرْفَةِ مُضَيَّفِي الْفَيْتُهَا حُجْرَةً وَاسِعَةً مُظْلِمَةً
ذَاتَ سَقْفٍ مُرْتَفِعٍ ، وَمُزْدَجِمَةٍ الْأَثَاثِ الْقَدِيمِ . وَكَانَتْ عِدَّةُ كُتُبٍ وَآلِاتٍ
مُوسِيقِيَّةٍ مُبَعَثَرَةً هُنَا وَهُنَا ، وَنَكِنَهَا لَمْ تَبْعَثْ شَيْئًا مِنَ الْحَيَاةِ فِي الْمَنْظَرِ الْعَامِّ
لِلْغُرْفَةِ . وَشَعَرْتُ أَنَّنِي أَتَنَفَّسُ هَوَاءً مُشْبَعًا بِالْحُزَنِ .

رَحَّبَ بِي أَشْرُ بِحَارَةٍ ثُمَّ جَلَسْنَا ، وَأَخَذْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ لِلْحِظَاتِ وَالشَّفَقَةِ تَمَلًّا
جَوَانِحِي . لَيْسَ مِنْ شَكٍّ أَنَّ التَّغْيِيرَ الَّذِي لَحِقَ بِهِ لَمْ يَحْدُثْ لِأَحَدٍ قَبْلَهُ فِي مِثْلِ
هَذِهِ الْفَتْرَةِ الْوَجِيزَةِ . لَقَدْ كَانَ دَائِمًا شَاغِبَ الْوَجْهِ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَطُّ فِي مِثْلِ
هَذَا الشُّحُوبِ . إِنَّ عَيْنَيْهِ الْوَاسِعَتَيْنِ الْلَامِعَتَيْنِ قَدْ أَصْبَحَتَا آلَانَ أَكْثَرَ اتِّسَاعًا
وَبِصُورَةً غَيْرَ طَبِيعِيَّةٍ ، كَمَا أَزْدَادَ لِمَعَانَهُمَا بِدَرَجَةٍ مُذْهِلَةٍ . وَأَصْبَحَتْ شَفَتَاهُ
مُجَرَّدَ خَطَّيْنِ مَرْسُومَيْنِ عَلَى وَجْهِهِ ، أَمَّا شَعْرُهُ الْجَمِيلُ الْنَاعِمُ فَهُوَ آلَانَ أَشْعَثُ
غَيْرَ مُهَذَّبٍ يَطْفُو فِي غَيْرِ نِظَامٍ عَلَى وَجْهِهِ وَرَقَبَتِهِ .

وَتَغَيَّرَتْ تَصَرُّفَاتُ صَدِيقِي كَذَلِكَ بِدَرَجَةٍ لَا يُقَالُ غَرَابَةٌ . لَقَدْ كَانَ طَوَالَ
الْوَقْتِ إِمَّا فِي حَالَةٍ مِنَ التَّوَتُّرِ الشَّدِيدِ أَوْ الْقَلَقِ الْعَنِيفِ . وَبِاتِّقَالِهِ سَرِيعًا مِنْ حَالَةٍ
إِلَى أُخْرَى كَانَ صَوْتُهُ يَتَغَيَّرُ فَجَاءَةً بِحَيْثُ تَتَحَوَّلُ النَّبْرَةُ الْهَلْجَةُ الْمُرْتَفَعَةُ إِلَى صَوْتٍ
ثَابِتٍ مُتَّانٍ وَكَأَنَّهُ صَوْتُ شَخْصٍ قَدْ أُسْرِفَ فِي الشَّرَابِ .

وَبِهَذَا الْأَسْلُوبِ تَحَدَّثَ عَنْ زِيَارَتِي ، وَعَنْ رَغْبَتِي الصَّادِقَةِ فِي رُؤْيَايَ ،
وَالْإِرْتِيَاحِ النَّفْسِيِّ الَّذِي يَتَوَقَّعُ أَنْ يَنْجُمَ عَنْ زِيَارَتِي لَهُ . وَبَدَأَ يَقْصُ عَلَيَّ قِصَّةَ
مَرَضِيهِ فِي إِسْهَابٍ وَتَفْصِيلٍ ، وَقَالَ فِي وَصْفِ هَذَا الْمَرَضِ إِنَّهُ لَعَنَةُ أَصَابَتْ
عَائِلَتَهُ ، وَيَبْدُو أَنَّ لَا عِلَاجَ لَهُ . ثُمَّ أَضَافَ إِلَى ذَلِكَ قَوْلَهُ فَجَاءَهُ إِنَّهُ مَرَضٌ بَسِيطٌ
لَيْسَ مِنْ شَكٍّ فِي أَنَّهُ سَيَزُولُ . وَكَانَ يُقَاسِي كَثِيرًا مِنْ حِدَّةِ حَوَاسِيهِ ، فَلَيْسَ
فِي وَسْعِهِ أَنْ يَأْكُلَ إِلَّا الطَّعَامَ الَّذِي لَا طَعْمَ لَهُ ، وَأَنْ يَلْبَسَ إِلَّا ثَوْبًا مُعِينًا مِنْ
الْقَمَاشِ ، وَلَا يَقْوَى عَلَى تَحْمِيلِ رَائِحَةِ الْأَزْهَارِ كَمَا أَنَّ أَخْفَتَ الْأَضْوَاءِ يُؤْذِي
عَيْنَيْهِ ، وَقَدْ أَصْدَرَ أَمْرَهُ بِالْأَلَّا يَصْدُرَ بِالْبَيْتِ أَيُّ صَوْتٍ بِاسْتِثْنَاءِ بَعْضِ الْأَصْوَاتِ
الْمُوسِيقِيَّةِ .

قَالَ : « إِنِّي أَخْشَى الْمُسْتَقْبَلَ ، وَلَا أَغْنِي بِذَلِكَ أَنِّي أَخْشَى مَا يَحْدُثُ فِيهِ
بَلْ أَثَرُ هَذِهِ الْأَحْدَاثِ عَلَيَّ . إِنَّنِي أُرْتِعِدُ خَوْفًا مِنْ حَدُوثِ أَيِّ شَيْءٍ يَزِيدُ مِنْ
قَلْقِي حَتَّى وَإِنْ كَانَ هَذَا الشَّيْءُ تَافَهًُا . إِنَّنِي أَشْعُرُ — فِي حَالَتِي الْفَظِيْعَةِ
هَذِهِ — أَنَّهُ سَوْفَ يَأْتِي وَقْتُ قَرِيبٍ أَنْخَلُصُ فِيهِ مِنْ رُوحِي وَجَسَدِي مَعًا اثْنَاءَ
صِرَاعِي مَعَ الْخَوْفِ . »

لَقَدْ صَدِمْتُ عِنْدَمَا عَرَفْتُ أَنَّهُ لَمْ يُغَادِرْ بَيْتَهُ مُنْذُ عِدَّةِ سَنَوَاتٍ . وَقَدْ قَالَ

لي : « إِنَّ الْبَيْتَ بِجُذُرَانِهِ وَأُجْرَاجِهِ قَدْ سَيَّطَرَ عَلَيَّ كُلَّ السَّيِّطَةِ ، وَهُنَاكَ قُوَّةٌ غَرِيبَةٌ تُرْبِطُنِي بِهِ وَكَأَنَّ الْبَيْتَ وَمَا فِيهِ كَأَنَّاتٌ حَيَّةٌ . » وَلَمْ أَعْرِفْ مَاذَا أَقُولُ لِصَدِيقِي عَنْ ذَلِكَ .

وَأَعْتَرَفَ لِي بِشَيْءٍ مِنَ التَّرَدُّدِ أَنَّ قَدْرًا كَبِيرًا مِنْ تَعَاسِيَتِهِ يَرْجِعُ إِلَى سَبَبٍ بَسِيطٍ هُوَ الْمَرَضُ الْمَزْمِنُ الْمُوَلِّمُ الَّذِي تُعَانِي مِنْهُ شَقِيقَتُهُ الَّتِي يُحِبُّهَا مِنْ كُلِّ قَلْبِهِ . إِنَّهَا رَفِيقَتُهُ مِنْ سَنَوَاتٍ عَدِيدَةٍ ، وَآخِرُ أَقْرَبَائِهِ عَلَى الْأَرْضِ . وَقَالَ لِي بِمَرَارَةٍ لَنْ أَنْسَاهَا : « إِنَّهَا سَوَفَ تَمُوتُ قَرِيبًا . وَبِمَوْتِهَا أَصْبَحَ آخِرَ فَرْدٍ فِي عَائِلَةٍ أَشْرَ الْعَرِيقَةِ . » وَفِي أَثْنَاءِ حَدِيثِهِ مَرَّتْ لِيْدِي مَادِلِينَ - فَقَدْ كَانَ هَذَا اسْمُهَا - بِأَقْصَى الْعُرْفَةِ وَلَمْ تَلْحَظْ وَجُودِي مَعَ أَخِيهَا ، فَتَظَرَّتْ إِلَيْهَا بِدَهْشَةٍ وَخَوْفٍ حَقِيقَيْنِ ، وَلَمْ أَذِرْ سَبَبًا لِتِلْكَ الدَّهْشَةِ وَذَلِكَ الْخَوْفُ . وَعِنْدَمَا ذَهَبَتْ تَظَرَّتْ إِلَى صَدِيقِي فَوَجَدْتُهُ قَدْ غَطَّى وَجْهَهُ بِكِلْتَا رَاخَتَيْهِ لِيُخْفِيَ طُوفَانًا مِنَ الدَّمُوعِ .

إِنَّ الْمَرَضَ الَّذِي تُعَانِي مِنْهُ لِيْدِي مَادِلِينَ قَدْ أَعْجَزَ أَطِبَاءَهَا رَغْمَ مَهَارَتِهِمْ ، وَلَمْ تَعُدْ تَهْتَمُ بِأَنْ تَعِيشَ أَوْ تَمُوتَ . إِنَّ نَقْصَانَ وَزِينَهَا الْمُسْتَمِرَّ قَدْ جَعَلَ جِسْمَهَا وَاهِنًا ضَعِيفًا ، وَمِمَّا زَادَ الطَّيْنَ بَلَّةً أَنَّ قَلْبَهَا كَانَ يَتَوَقَّفُ مِنْ وَقْتٍ لآخر . وَقَالَ لِي صَدِيقِي فِي حُزْنٍ يَصِفُ تِلْكَ الْفَتَرَاتِ الَّتِي يَتَوَقَّفُ فِيهَا قَلْبُهَا : « لَا يُمَكِّنُ التَّفْرِقَةُ بَيْنَ هَذِهِ الْفَتَرَاتِ وَبَيْنَ الْمَوْتِ الْحَقِيقِيِّ . إِنَّ عَلَيْهَا آلَانَ أَنَّ تَظَلَّ فِي فِرَاشِهَا ، وَاعْتَقَدَ أَنَّنَا لَنْ نَرَاهَا مَرَّةً أُخْرَى عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ . »

مَكُنَّا عِدَّةَ أَيَّامٍ لَا نَذْكُرُ اسْمَهَا ، وَخِلَالَ تِلْكَ الْفَتْرَةِ كُنْتُ أَبْدُلُ قُصَارَى

جَهْدِي كَيْ أَبْعَثَ الرَّاحَةَ وَالْبَهْجَةَ فِي قَلْبِ صَدِيقِي . فَكُنَّا نَقُومُ مَعَ بِالرَّسْمِ وَالْقِرَاءَةِ ، أَوْ كُنْتُ أَسْتَمِعُ - وَكَأُنِّي فِي حُلْمٍ - إِلَى الْمَوْسِيقَى الَّتِي كَانَ يَعْرِفُهَا . وَازْدَادَتْ أَوَاصِرُ الصَّدَاقَةِ بَيْنَنَا ، وَأَخَذَ كُلُّ مِنَّا يَقْصُ عَلَى الْآخَرِ أَسْرَارَهُ وَدَخِيلَةَ نَفْسِهِ . وَلَكِنْ كَانَ هَذَا كُلُّهُ مِنْ دُونِ جَدْوَى إِذْ إِنَّ الظَّلَامَ الَّذِي كَانَ يَمْلَأُ مُحِيطَتَهُ قَدْ صَبَغَ كُلَّ شَيْءٍ حَوْلَنَا بِلَوْنٍ أَسْوَدَ ، وَكَأَنَّمَا هُوَ طُوفَانٌ مِنَ الْبُؤْسِ لَا آخِرَ لَهُ .

سَوَفَ أَذْكُرُ دَائِمًا تِلْكَ السَّاعَاتِ الطَّوِيلَةَ الْجَادَّةَ الَّتِي قَضَيْتُهَا مَعَ صَاحِبِ بَيْتٍ أَشْرَ ، وَلَكِنْ لَيْسَ فِي وَسْطِي أَنْ أَشْرَحَ بِصُورَةٍ وَافِيَةٍ مَا كُنَّا نَقُومُ بِهِ مِنْ أَعْمَالٍ وَمُنَاقَشَاتٍ . لَقَدْ كَانَتْ لَهُ مِثْلُهُ الْعُلْيَا الَّتِي أَصْبَحَتْ مُخْتَلِطَةً مُضْطَرِبَةً خِلَالَ مَرَضِهِ الطَّوِيلِ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي وَسْطِهِ آنَذَاكَ إِلَّا أَنْ يُعَبِّرَ عَنْ هَذِهِ الْمِثْلِ بِاللَّوْنِ وَالصَّوْتِ : بِأَكْثَرِ الْأَرْسُومِ غَرَابَةٍ وَبِالْمَوْسِيقَى الصَّعْبَةِ الَّتِي يَقُومُ هُوَ بِوَضْعِهَا . وَلَمْ يَكُنِ النَّاتِجُ عَنْ هَذَا التَّعْبِيرِ شَيْئًا يَتَّسِمُ بِالْوُضُوحِ حَتَّى بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ نَفْسِهِ . وَلِهَذَا فَمِنْ الْمُمْكِنِ أَنْ تَتَصَوَّرَ مَدَى الصَّعُوبَةِ الَّتِي وَاجَهْتُهَا وَأَنَا أُحَاوِلُ فَهْمَهُ .

لَقَدْ ظَنَنْتُ يَوْمًا أَنَّ فِكْرَةَ إِخْدَى صُورِهِ سَهْلَةٌ بَعْضَ الشَّيْءِ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ عَدَمِ تَفْهَمِي لَهَا . وَلَقَدْ تَذَكَّرْتُ تِلْكَ الصُّورَةَ لِأَنَّهَا جَعَلَتْني أَرْتَعِدُ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهَا . فَقَدْ ظَهَرَ فِي تِلْكَ الصُّورَةِ مَمَرٌ مُسْرِفٌ فِي الطُّوْلِ ، وَلَهُ جُذُرَانِ مُنْخَفِضَةٌ نَاعِمَةٌ بَيَضَاءُ . وَتُظْهِرُ خَلْفِيَّةَ الصُّورَةِ أَنَّ هَذَا الْمَمَرُ مُنْخَفِضٌ كَثِيرًا عَنْ سَطْحِ الْأَرْضِ ، وَلَكِنِّي لَمْ أَرَلَهُ مَخْرَجًا وَلَيْسَتْ بِهِ مَصَابِيحُ أَوْ أَيُّ مَصْدَرٍ

آخِرَ اللَّصْوَةِ . وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ كَانَ الْمَنْظَرُ بِأَجْمَعِهِ يَسْبَحُ فِي حِضْمٍ مِنَ الْأَشْيَةِ
الَّلَامِعَةِ .

وَفِي أَثْنَاءِ إِحْدَى مُنَاقَشَاتِنَا قَالَ لِي أَشْرُ إِنَّهُ يَعْتَقِدُ أَنَّ لِلنبَّاتَاتِ جَمِيعًا الْقُدْرَةَ
عَلَى الْإِحْسَاسِ . وَقَالَ كَذَلِكَ إِنَّ لِبَعْضِ الْأَجْسَامِ غَيْرِ الْحَيَّةِ الْقُدْرَةَ عَلَى
الْإِحْسَاسِ فِي ظِلِّ بَعْضِ الظُّرُوفِ . وَكَمَا ذَكَرْتُ أَنَا فَإِنَّ لِهَذَا الْإِعْتِقَادَ عِلَاقَةً
بِالْأَحْجَارِ الرَّمَادِيَّةِ لِبَيْتِهِ . فَقَدْ كَانَ يَرَى أَنَّ الطَّرِيقَةَ الَّتِي صُنِفَتْ بِهَا تِلْكَ
الْأَحْجَارُ فِي الْجُدُرَانِ مُنْذُ مِائَاتِ الْأَعْوَامِ قَدْ مَنَحَتْهَا حَيَاةً خَاصَّةً بِهَا . كَمَا أَنَّ
مَاءَ الْبَحِيرَةِ وَالْأَشْجَارِ الذَّابِلَةَ لَهَا نَصِيبٌ فِي تِلْكَ الْحَيَاةِ . وَأَضَافَ قَائِلًا :
« إِنَّ مَا يُثَبِّتُ وُجُودَ قُدْرَةِ عَلَى الْإِحْسَاسِ لَدَى الْجُدُرَانِ وَمَاءَ الْبَحِيرَةِ أَنَّهَا
قَامَتْ بِالتَّدرِيجِ وَبِصُورَةٍ أَكِيدَةٍ بِإِيجَادِ نَوْعٍ مِنَ الْهَوَاءِ الْخَاصِّ بِهَا لِيُحِيطَ
بِالْمَكَانِ . »

ذَكَرَنِي هَذَا الْقَوْلُ بِمَا سَاوَرَنِي مِنْ أَفْكَارٍ وَأَنَا أَقْتَرِبُ مِنَ الْبَيْتِ مِمَّا جَعَلَنِي
أَشْهَقُ فِي تَعْجُبٍ وَاسْتِعْرابٍ . وَوَأَصَلَ حَدِيثُهُ قَائِلًا : « لَقَدْ كَانَ لِهَذَا الْهَوَاءِ
أَثَرُهُ الصَّامِتُ الْمُرْعَبُ عَلَى أَفْرَادِ أُسْرَتِي . وَهُوَ الَّذِي جَعَلَنِي عَلَى مَا أَنَا
عَلَيْهِ . » فَالْتَزَمْتُ الصَّمْتَ وَأَنَا غَيْرُ قَادِرٍ عَلَى التَّفْكِيرِ فِي رَدِّ مُنَاسِبٍ .

ذَاتَ مَسَاءٍ قَالَ لِي أَشْرُ فِي كَلِمَاتٍ مُقْتَضِيَةٍ إِنَّ الْيَدِي مَادِلِينَ قَدْ تَوَقَّيْتُ ،
وَإِنَّهُ يَنْوِي أَنْ يَحْتَفِظَ بِجُسَّتِهَا لِمُدَّةِ أُسْبُوعَيْنِ قَبْلَ أَنْ يَدْفِنَهَا فِي إِحْدَى الْعُرُفِ
الْعَدِيدَةِ أَسْفَلَ الْبَيْتِ . وَلَمْ يَكُنْ سَبَبُ قَرَارِهِ هَذَا غَيْرَ طَبِيعِيٍّ ، لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ
وَضَعَ فِي اعْتِبَارِهِ ذَلِكَ الْمَرَضَ الْغَرِيبَ الَّذِي كَانَتْ تُعَانِي مِنْهُ . وَبِاخْتِصَارٍ كَانَ

هَدَفُهُ أَنْ يَتَأَكَّدَ مِنْ أَنَّهَا قَدْ مَاتَتْ حَقِيقَةً قَبْلَ أَنْ يَضَعَ جُسَّتَهَا فِي مَقْبَرَةِ الْعَائِلَةِ .

اسْتَجَبْتُ لِطَلَبِ أَشْرُ وَسَاعَدْتُهُ فِي الْقِيَامِ بِهَذِهِ التَّرْتِيبَاتِ . لَقَدْ
قُمْنَا - نَحْنُ الْاِثْنَيْنِ فَقَطْ - بِحِمْلِ الْجُثَّةِ دَاخِلَ الثَّابُوتِ إِلَى عُرْفَةٍ صَغِيرَةٍ
رَطْبِيَّةٍ مُظْلِمَةٍ تَقَعُ أَسْفَلَ الْمَكَانِ الَّذِي كُنْتُ أَنَامُ فِيهِ . وَكَانَتْ تِلْكَ الْعُرْفَةُ
تُستَخدَمُ فِيمَا مَضَى مِنَ الزَّمَانِ مَخْزَنًا لِلْبَارُودِ أَوْ غَيْرِهِ مِنْ مَوَادِّ خَطَرَةٍ . وَكَانَ
جُزْءٌ مِنَ أَرْضِ الْعُرْفَةِ مُعْطًى بِالنُّحَاسِ ، كَمَا كَانَ النُّحَاسُ يُعْطَى جُذْرَانِ ذَلِكَ
الْمَمَرِّ الطَّوِيلِ الْمُؤَدِّي إِلَى الْعُرْفَةِ وَيُحِيطُ بِالْبَابِ الْحَدِيدِيِّ الثَّقِيلِ الْخَاصِّ بِتِلْكَ
الْعُرْفَةِ .

بَعْدَ أَنْ وَضَعْنَا الثَّابُوتَ عَلَى مِنْضَدَةٍ مُنْخَفِضَةٍ أَرَحْنَا الْغِطَاءَ قَلِيلًا وَنَظَرْنَا إِلَى
وَجْهِ الْمُتَوَفَاةِ ، وَلَا حَظُّتُ عَلَى الْفُورِ أَنَّ الْأَخَ وَأُخْتَهُ كَانَا مُتَشَابِهَيْنِ تَمَامًا .
وَقَدْ لَاحَظَ أَشْرُ مَا دَارَ فِي ذَهْنِي فَقَالَ لِي إِنَّهُمَا كَانَا ثَوَامَيْنِ ، وَإِنَّهُمَا كَانَا
مُتَعَاطِفَيْنِ بِصُورَةٍ غَيْرِ عَادِيَّةٍ . لَقَدْ شَابَ وَجْهَهَا وَرَقَبَتُهَا لَوْنٌ طَفِيفٌ ،
وَكَانَتْ عَلَى شَفَتَيْهَا اِتِّسَامَةٌ خَافِتَةٌ تَبْعَثُ الرَّغْبَ لِأَنَّهَا تَأْتِي مِنْ شَخْصٍ مَيِّتٍ .
لَمْ نُنْظِرِ النَّظَرَ إِلَيْهَا ، بَلْ أَرْجَعْنَا الْغِطَاءَ إِلَى مَكَانِهِ وَأَغْلَقْنَاهُ ، ثُمَّ أَوْصَدْنَا الْبَابَ
الْحَدِيدِيَّ ، وَرَجَعْنَا إِلَى الْجُزْءِ الْعُلَوِيِّ مِنَ الْبَيْتِ .

بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَوْ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ مِنَ الْحُزَنِ الْمَرِيرِ لَاحَظْتُ شَيْئًا مِنَ التَّغْيِيرِ فِي
تَصَرُّفَاتِ صَدِيقِي . لَقَدْ أَهْمَلَ أَوْ نَسِيَ نَشَاطَهُ الْعَادِيَّ مِنْ مُوسِيقَى وَقَرَاءَةِ
وَرَسْمٍ ، وَكَانَ يَجُولُ مِنْ عُرْفَةٍ إِلَى عُرْفَةٍ مِنْ دُونِ أَنْ يَعْمَلَ شَيْئًا أَوْ يَهْتَمَّ
بِشَيْءٍ . وَازْدَادَ شُحُوبٌ وَجْهَهُ عَنْ ذِي قَبْلٍ ، وَزَالَ عَنْ عَيْنَيْهِ لَمَعَانُهَا .

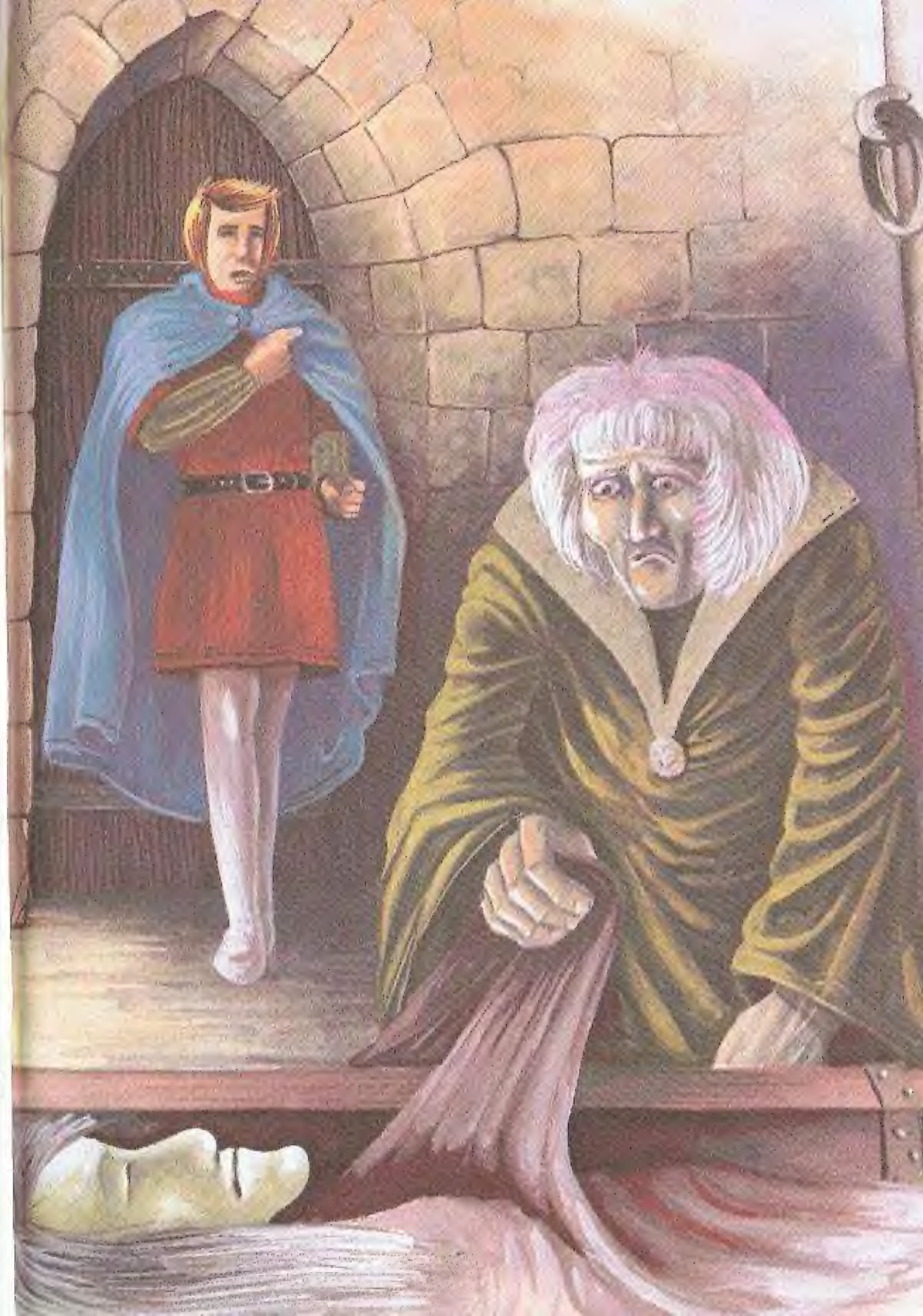
وَكُنْتُ أَحْسُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ أَنَّ لَدَيْهِ سِرًّا يُرِيدُ أَنْ يُفْضِيَ بِهِ إِلَيَّ ، وَلَكِنْ تَنْقُصُهُ الشَّجَاعَةُ فِي ذَلِكَ . وَكَانَ فِي أَوْقَاتٍ أُخْرَى يَجْلِسُ سَاعَاتٍ طَوِيلَةً مُحَاوِلًا الْإِصْغَاءَ إِلَى أَصْوَاتٍ يَتَخَيَّلُهَا ، وَكَأَنَّمَا كَانَ يَتَوَقَّعُ حَدُوثَ شَيْءٍ غَيْرٍ عَادِيٍّ . هَلْ مِنَ الْمُسْتَعْرَبِ أَنْ تَمْلَأَنِي حَالَتُهُ تِلْكَ بِالْخَوْفِ ، وَأَنْ أَشْعُرَ بِأَنَّ مَخَافَتَهُ الْمُرْعِبَةَ قَدْ بَدَأَتْ تَتَابَعُنِي ؟

فِي اللَّيْلَةِ السَّابِعَةِ أَوْ الثَّامِنَةِ بَعْدَ وَفَاةِ الْيَدِيِّ مَادِلِينَ بَدَأْتُ أَحْسُ بِقُوَّةِ تِلْكَ الْمَشَاعِرِ . وَكَانَتْ عَيْنَايَ لَا تَغْمُضَانِ لِسَاعَاتٍ طَوِيلَةٍ وَأَنَا أَحَاوِلُ مُقَاوَمَةَ مَشَاعِرِ الْخَوْفِ هَذِهِ . وَكُنْتُ أَنْحِي بِالْكَلْمِ عَلَى الْبَيْتَةِ الْمُحِيطَةِ بِي ، وَعَلَى الْأَنَابِ الْمُتَرَبِّ وَالسَّائِرِ الْمُمَرَّقَةِ الَّتِي تَرُوحُ جَيْئَةً وَذَهَابًا أَمَامَ الرِّيحِ الَّتِي تَسُوقُهَا عَاصِفَةٌ تُنْذِرُ بِالْهُبُوبِ . وَكُنْتُ أَنْحِي بِاللَّائِمَةِ أَيْضًا عَلَى الْفِرَاشِ الَّذِي كُنْتُ أَنَامُ عَلَيْهِ . وَلَكِنَّ تِلْكَ التَّعَلَّاتِ لَمْ تُجِدْ شَيْئًا .

وَأَخِيرًا نَهَضْتُ مِنْ فِرَاشِي وَنَظَرْتُ مَلِيًّا فِي ظِلَامِ الْعُرْفَةِ فَسَمِعْتُ — أَوْ خَيَّلَ إِلَيَّ أَنِّي سَمِعْتُ — بَعْضَ الْأَصْوَاتِ الْخَافِتَةِ الَّتِي كَانَتْ تُجِيءُ مِنْ حِينٍ إِلَى حِينٍ كُلَّمَا خَفَتْ صَوْتُ الرِّيحِ . فَاسْرَعْتُ بِارْتِدَائِ مَلَابِسِي وَأَنَا أَرْتَعِدُ — وَلَمْ أَكُنْ أَدْرِي أَمْ مِنَ الْخَوْفِ كَانَ ارْتِعَادِي أَمْ مِنَ الْبَرْدِ ، وَحَاوَلْتُ أَنْ أَهْدِيَ رُؤُوعِي بِالسَّيْرِ السَّرِيعِ جَيْئَةً وَذَهَابًا دَاخِلَ الْعُرْفَةِ .

بَعْدَ أَنْ سِرْتُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا سَمِعْتُ طَرَقًا خَفِيفًا عَلَى الْبَابِ ، ثُمَّ دَخَلَ أَشْرَ وَهُوَ يَحْمِلُ مِصْبَاحًا . كَانَتْ نَظَرَاتُ عَيْنَيْهِ تُنْمُ عَنْ قَلْقٍ شَدِيدٍ .

صَاحَ بِي فَجَاءَةً : « أَلَمْ تَرَهَا ؟ إِنَّكَ لَمْ تَرَهَا حَتَّى الْآنَ ، وَلَكِنْ انْتَظِرْ



فَسَوْفَ تَرَاهَا . » ، ثُمَّ وَضَعَ مِصْبَاحَهُ بِعِنَايَةٍ فِي مَأْمَنِ مِنَ الرِّيحِ ، وَاسْرَعَ
نَحْوَ الْنَافِذَةِ وَفَتَحَهَا لِتَنْدَفِعَ مِنْهَا رِيحُ الْعَاصِفَةِ .

أَوْشَكَتِ الْعَاصِفَةُ الَّتِي هَبَّتْ أَنْ تُقْلِعِي بِنَا أَرْضًا ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ تَكُنِ
الْعَاصِفَةُ هِيَ الَّتِي جَذَبَتْ انْتِبَاهَنَا ، وَلَا السُّحُبُ الْكَثِيفَةُ الَّتِي كَانَتْ تَتَطَايَرُ فِي
شَتَّى الْأَتِّجَاهَاتِ حَوْلَ الْبَيْتِ وَالَّتِي حَجَبَتْ الْقَمَرَ وَالنُّجُومَ - وَلَكِنْ
مَا جَذَبَ انْتِبَاهَنَا هُوَ الْبَيْتُ نَفْسُهُ وَكُلُّ مَا حَوْلَهُ - فَقَدْ كَانَتْ
جَمِيعُهَا - حَتَّى السُّحُبُ فِي السَّمَاءِ - تَلْمَعُ بِضَوْءٍ غَيْرِ طَبِيعِيٍّ غَرِيبٍ ،
وَكَانَ هَذَا الضَّوُّ يَنْبَعِثُ مِنَ الْجُدُرَانِ وَمِنْ مَاءِ الْبَحِيرَةِ .

قُلْتُ لَهُ : « يَجِبُ أَلَّا تَنْظُرَ إِلَى هَذَا الضَّوِّ وَسَوْفَ أُحَوِّلُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ
رُؤْيَيْهِ . إِنَّ هَذَا الضَّوِّ الَّذِي يُقْلِقُكَ لَيْسَ إِلَّا مُجَرَّدَ اضْطِرَابَاتٍ كَهْرَبَائِيَّةٍ فِي
الْجَوِّ . هَيَّا بِنَا نُغْلِقِ الْنَافِذَةَ إِذْ إِنَّ الرِّيحَ بَارِدَةً ، وَهِيَ ضَارَّةٌ بِصِحَّتِكَ . هَا هُوَ
ذَا أَحَدُ كُتُبِكَ الْمَفْضَلَةِ ، وَسَوْفَ أَقْرَأُ فِيهِ ، وَعَلَيْكَ أَنْ تَسْتَمِعَ ، وَبِذَلِكَ
نَقْضِي هَذِهِ اللَّيْلَةَ الْمَفْزَعَةَ مَعًا . »

بَدَأْتُ أَقْرَأُ وَبَدَأَ أَشْرَ يَسْتَمِعُ أَوْ يَتَظَاهَرُ بِالِاسْتِمَاعِ فِي اهْتِمَامٍ كَبِيرٍ . وَكَانَ
الَّذِي أَقْرَأُهُ قِصَّةً مَشْهُورَةً لِسِيرِ لُونِسِيلُوتِ كَانِيَج . وَبَعْدَ أَنْ وَاصَلْتُ الْقِرَاءَةَ
لِئْمَانِي أَوْ عَشْرِ دَقَائِقَ وَصَلْنَا إِلَى الْمَوْقِفِ الَّذِي يَقْتَحِمُ فِيهِ بَطْلُ الْقِصَّةِ بَيْتَ
عَدُوِّهِ . وَكَانَتْ كَلِمَاتُ الْقِصَّةِ فِي هَذَا الْمَوْقِفِ عَلَى النَّحْوِ الْآتِي :

« فَرَفَعَ إِثْلَرْدُ سَيْفَهُ وَضَرَبَ الْبَابَ ضَرْبَاتٍ عَنِيفَةً حَتَّى كَسَرَهُ وَفَتَحَهُ .
وَكَانَ صَوْتُ الْبَابِ وَهُوَ يَنْكَسِرُ يَكَادُ يَمْلَأُ الْغَابَةَ . » وَفِي نِهَايَةِ هَذِهِ الْجُمْلَةِ

تَوَقَّفْتُ إِذْ خُيِّلَ إِلَيَّ أَنِّي أَسْمَعُ صَوْتًا خَافِتًا لِخَشَبٍ يَتَكَسَّرُ ، وَكَانَ يَبْدُو أَنَّ
هَذَا الصَّوْتَ يَأْتِي مِنْ مَكَانٍ نَائٍ فِي الْبَيْتِ ، وَقُلْتُ فِي نَفْسِي لَا بُدَّ أَنَّهُ نَاجِمٌ عَنْ
بَعْضِ الْأَضْرَارِ الَّتِي أَخَذَتْهَا الْعَاصِفَةُ ، وَلَيْسَ فِي هَذَا مَا يَهْمُنِي أَوْ يُقْلِقُنِي
فَوَاصَلْتُ قِرَاءَةَ الْقِصَّةِ :

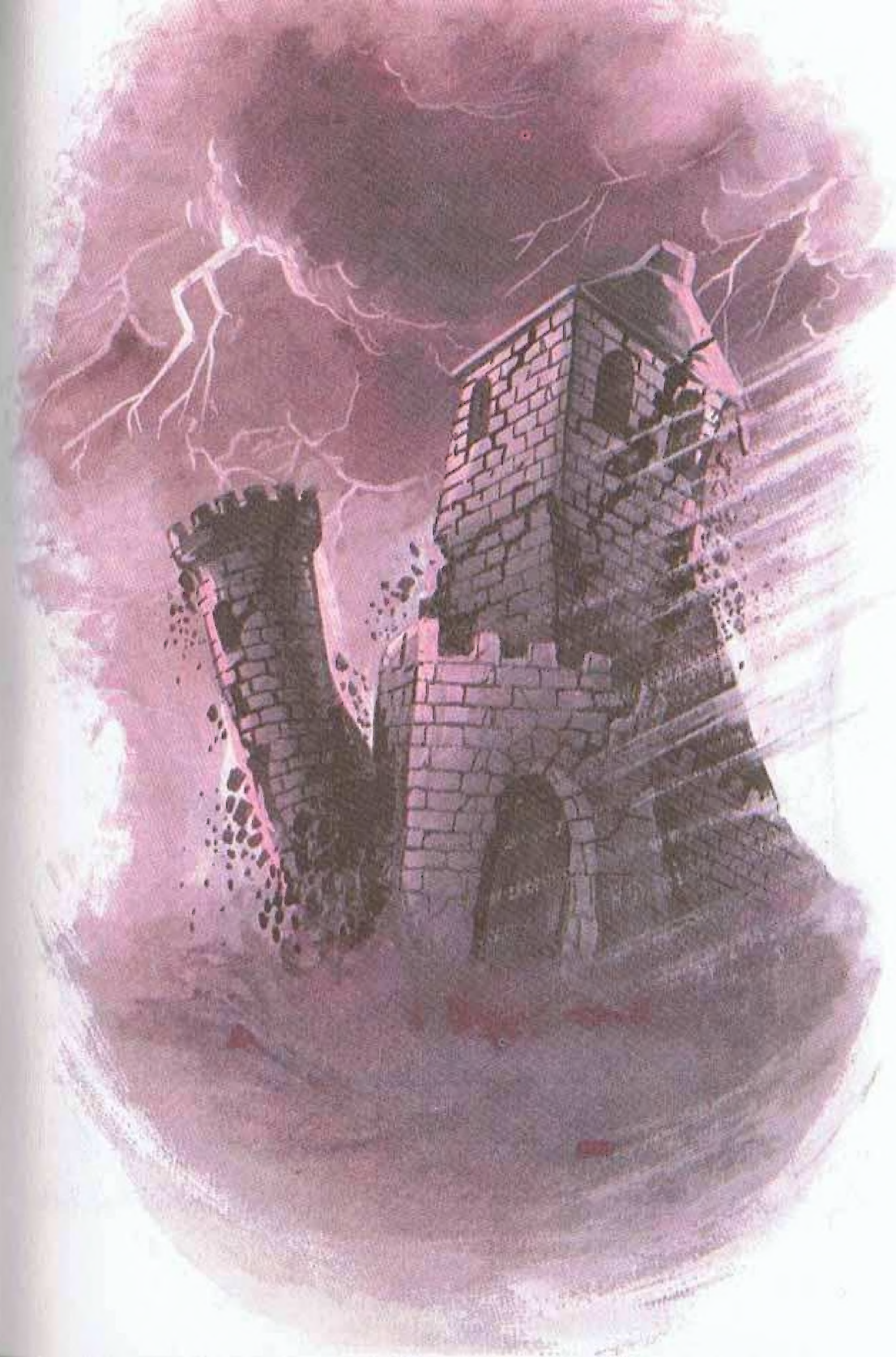
« وَعِنْدَمَا دَخَلَ إِثْلَرْدُ الطَّيِّبُ تِلْكَ الْغُرْفَةَ وَقَفَ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الْفِضَّةِ أَمَامَ
وَخَشٍ غَاضِبٍ ، وَكَانَ وَرَاءَ الْوَخَشِ دِرْعٌ كَبِيرٌ مُعْلَقٌ عَلَى الْحَائِطِ مَكْتُوبٌ
عَلَيْهِ : مَنْ يَدْخُلُ هُنَا فَقَدْ انْتَصَرَ ، وَمَنْ يَقْتُلِ الْوَخَشَ فَلَهُ هَذَا الدَّرْعُ . رَفَعَ
إِثْلَرْدُ سَيْفَهُ مَرَّةً أُخْرَى وَضَرَبَ رَأْسَ الْوَخَشِ ، فَوَقَعَ الْوَخَشُ مَيِّتًا بَعْدَ أَنْ أُطْلِقَ
عِدَّةَ صَرَخَاتٍ اهْتَزَّتْ لَهَا الْجُدُرَانُ ، وَسَقَطَ الدَّرْعُ الثَّقِيلُ عَلَى الْأَرْضِ بِجَوَارٍ
قَدَمَيَّ إِثْلَرْدِ . »

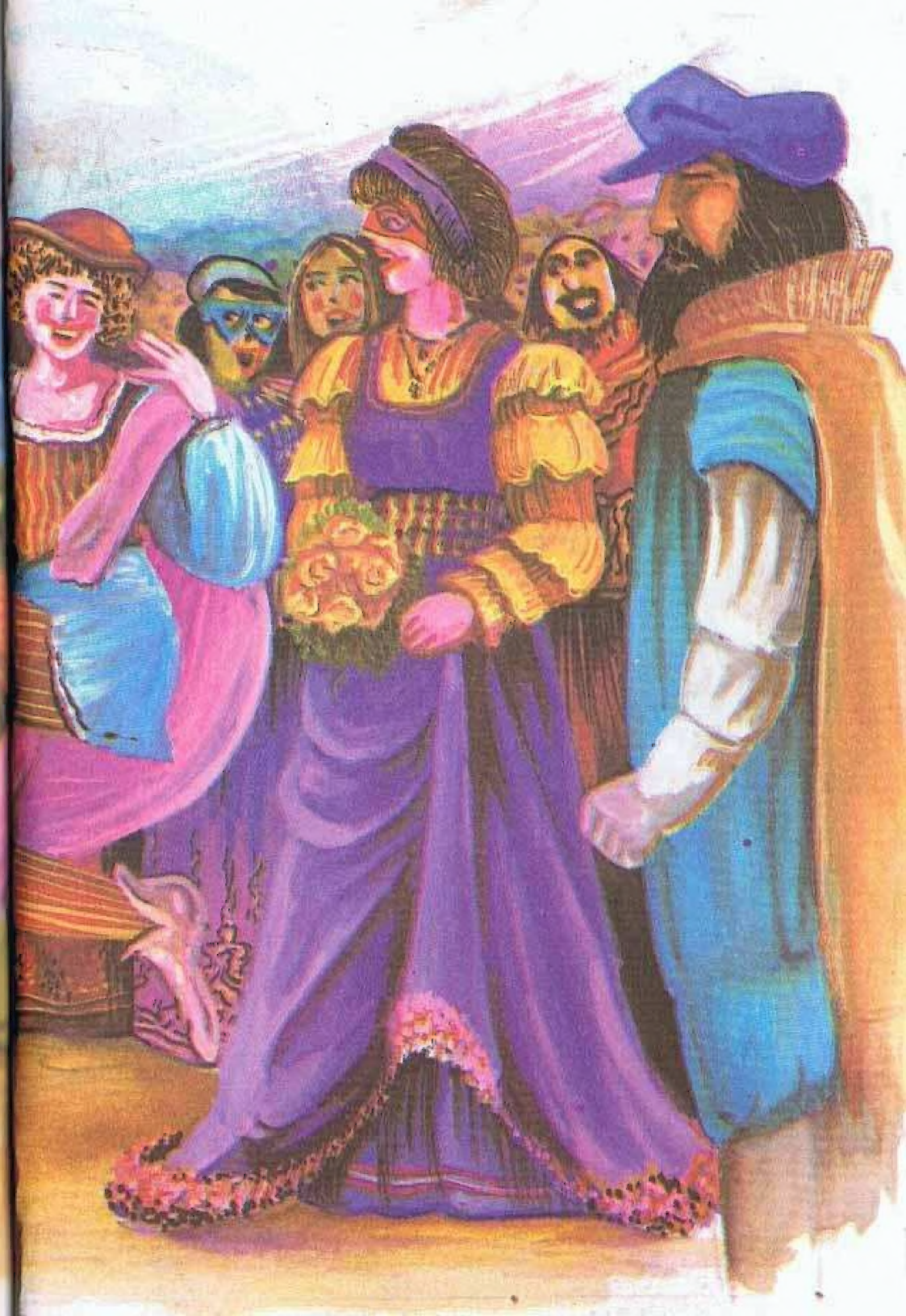
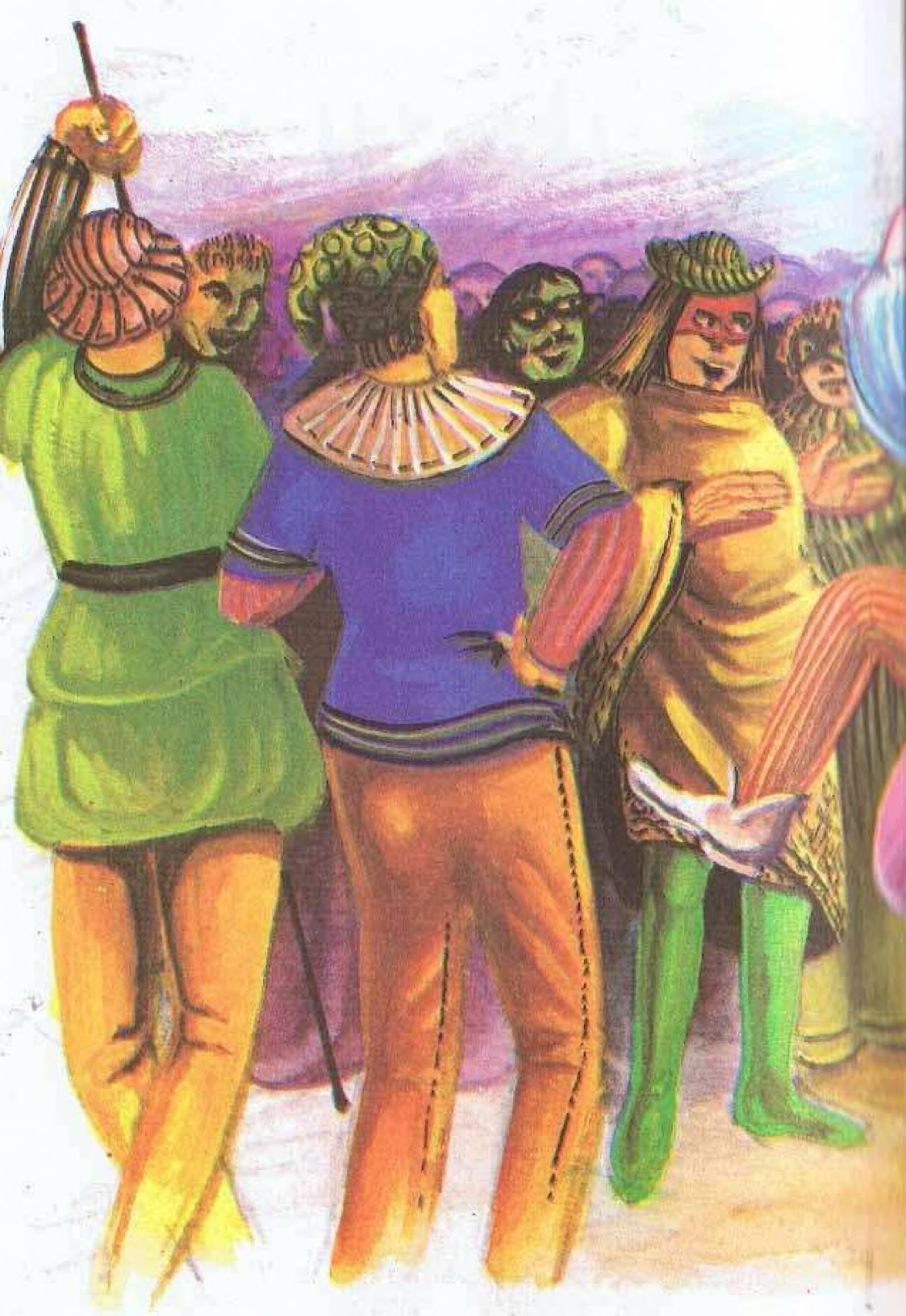
هُنَا شَعَرْتُ مَرَّةً أُخْرَى بِاللَّدْهَشَةِ وَالْخَوْفِ ، وَاضْطَرَرْتُ إِلَى أَنْ أَتَوَقَّفَ
عَنِ الْقِرَاءَةِ إِذْ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ لَدَيَّ شَيْءٌ آنَذَاكَ أَنِّي سَمِعْتُ صَوْتَ أَلِمٍ وَاضِحٍ
وَخَافِتٍ ، وَتَبَعَ ذَلِكَ عَلَى الْفَوْرِ صَوْتُ ضَرْبَاتٍ تَقَعُ عَلَى شَيْءٍ مَعْدِنِيٍّ . لَمْ
أَكُنْ مُتَأَكِّدًا أَنَّ أَشْرَ نَفْسُهُ قَدْ سَمِعَ تِلْكَ الْأَصْوَاتَ ، فَاثْنَدَفَعْتُ وَأَنَا أُرْتَعِدُ إِلَى
الْكُرْسِيِّ الَّذِي يَجْلِسُ عَلَيْهِ ، وَكَانَتْ عَيْنَاهُ مُرَكَّزَتَيْنِ عَلَى الْبَابِ وَشَفَتَاهُ
تَتَحَرَّكَانِ . وَعِنْدَمَا انْحَنَيْتُ نَحْوَهُ سَمِعْتُهُ يَقُولُ : « هَلْ أَسْمَعُهُ ؟ نَعَمْ ، إِنِّي
أَسْمَعُهُ وَقَدْ سَمِعْتُهُ لِعِدَّةِ دَقَائِقَ وَعِدَّةِ سَاعَاتٍ وَعِدَّةِ أَيَّامٍ . وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ
أُجْرُ ... آه يَا لِحَظَّتِي التَّعِيسِ ! إِنِّي لَمْ أُجْرُ عَلَى الْكَلَامِ ... لَقَدْ وَضَعْنَاهَا
حَيَّةً فِي التَّابُوتِ . أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّ حَوَاسِي حَادَّةٌ ؟ إِنِّي أُخْبِرُكَ الْآنَ أَنِّي قَدْ

سَمِعْتُ حَرَكَاتِهَا الْأُولَى مُنْذُ عِدَّةِ أَيَّامٍ ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ أُجِرُوا عَلَى الْكَلَامِ .
وَالآنَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ قَرَأْتُ لِي عَنْ إِنْثَرْد .. هَا ! هَا ! وَكَسَرَ أَلْبَابَ وَصَرَخَ
الْمَوْتِ الْمُنْبَعِثَةِ مِنَ الْوَحْشِ وَسُقُوطِ الدَّرَجِ .. قُلْ بَدَلًا مِنْ ذَلِكَ فَتَحَهَا
لِتَابَوْتِهَا وَصَرَخَاتِهَا وَمُحَاوَلَاتِهَا فِي ذَلِكَ الْمَمَرِّ النُّحَاسِيِّ لِسِجْنِهَا . آه أَيْنَ
أُخْتِي ؟ أَلَنْ تَأْتِي قَرِيبًا إِلَى هُنَا ؟ أَلَنْ تُسْرِعَ إِلَيَّ مُؤْتَبَةً لِي عَلَى تَسْرُعِي ؟ أَلَمْ
أَسْمَعْ خُطُواتِهَا عَلَى الدَّرَجِ ؟ أَلَا أُحِسُّ بِدَقَّاتِ قَلْبِي الْغَنِيْفَةِ ؟ » وَهُنَا قَفَزَ
وَصَاحَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : « أَيُّهَا الْمَجْنُونُ ، إِنِّي أُخْبِرُكَ أَنَّهَا تَقِفُ الْآنَ خَارِجَ
أَلْبَابِ . »

وَانْفَتَحَ أَلْبَابُ الْكَبِيرُ وَكَانَ فِي صَوْتٍ أَشْرَ قُوَّةٍ خَارِقَةٍ ، وَكَانَتْ الرِّيحُ
الصَّاخِبَةُ هِيَ الَّتِي فَتَحَتْ أَلْبَابَ عَلَى مِصْرَاعَيْهِ . وَهُنَاكَ خَارِجَ أَلْبَابِ كَانَتْ
تَقِفُ لِيَدَيِ مَادِلِينَ أَوْفَ أَشْرَ بِقَوَامِهَا الطَّوِيلِ وَرِدَائِهَا الْأَبْيَضِ . ظَلَّتْ لِلْحَظَةِ
وَاقِفَةً بِالْأَلْبَابِ وَهِيَ تَرْتَعِدُ ، ثُمَّ انْدَفَعَتْ نَحْوَ أَخِيهَا وَسَقَطَتْ بِثِقَلِهَا عَلَيْهِ وَهِيَ
تُطْلِقُ صَيْحَةً خَافَتَهُ . مَاتَ أَشْرَ لَتَوَهُ مِنْ هَوْلِ الصَّدْمَةِ ، وَبَعْدَ دَقِيقَةٍ وَاحِدَةٍ
مَاتَتْ أُخْتُهُ بِجَوَارِهِ .

هَرَبْتُ مِنْ تِلْكَ الْغُرْفَةِ وَمِنَ الْبَيْتِ كُلِّهِ مِنْ قَرِيطِ خَوْفِي . وَلَمْ أَنْظُرْ خَلْفِي
إِلَّا بَعْدَ أَنْ كُنْتُ قَدْ اجْتَرَزْتُ الْبَحِيرَةَ . وَعِنْدَيْدِ دَوَى صَوْتٍ يُصِمُّ الْأَذَانَ ، ثُمَّ
شَاهَدْتُ ذَلِكَ الشَّرْحَ الَّذِي أَشْرْتُ إِلَيْهِ مِنْ قَبْلِ وَالَّذِي يَمْتَدُّ مِنَ السَّقْفِ إِلَى
مُسْتَوَى الْأَرْضِ - شَاهَدْتُهُ يَتَسَّعُ وَكَأَنَّهُ فَكًّا وَخَشٍ ضَخِيمٍ ، وَتَدَاعَتْ
الْجُدْرَانُ الضَّخْمَةُ ، وَسَمِعْتُ أَصْوَاتًا عَالِيَةً ، أَصْوَاتَ آلَافِ الْأَمْوَاجِ ، ثُمَّ
إِبْتَلَعَتْ مِيَاهُ الْبَحِيرَةِ الْعَمِيقَةِ الدَّاكِنَةَ مَا تَبَقِيَ مِنْ حُطَامِ بَيْتِ أَشْرَ .





المغامرات المثيرة

- | | |
|-------------------------------|-------------------------------|
| ١ - مغامرة في الأدغال | ٨ - حمد الغواص الشجاع |
| ٢ - مغامرة في الفضاء | ٩ - اللسان الغبيان |
| ٣ - مغامرة أسيرين | ١٠ - مطاردة لصوص السيارات |
| ٤ - مغامرة في الجزيرة الخضراء | ١١ - مغامرات السندباد البحري |
| ٥ - مغامرة على الشاطئ | ١٢ - لعبة خطيرة |
| ٦ - الجاسوس الطائر | ١٣ - الحشرة الذهبية وقصص أخرى |
| ٧ - لصوص الطريق | ١٤ - اللؤلؤة السوداء |
| | ١٥ - سر الجزيرة |



مَكْتَبَةُ لُبْنَان

سَاحَةُ رِيَّاضِ الصَّلَح - بَیروت

رقم مرجع كمبيوتر 01 C 198 213